— مليون فرنك !

— ليس هذا شيئاً بالنسبة الى غناء العظيم فقد بني في السنة الثالثة معملاً لهذا الشراب كلفهُ خمسة ملايين فرنك وهو في الحقيقة اشبه بقصر. وسترٌ عليه في هذا المساء فتشاهد فخامتهُ. وفي كل يوم يُخرج من هذا الشراب كية وافرة ويبيعها باحسن الاثمان ويربح الارباح الغزيرة — ولكن ما لنا ولكلام الآن هلمَّ نأكل

وكان الخادم قد اتى بصحفة بولياباس فقدَّم الرجل لفاضل كفايتهُ وزيادة ثم قال لهُ: كيف تجد هذه الاكلة ألم أقل لك انها لذيذة للغاية

امَّا فاضل فلم يهتدِ الى ما يجيب به فان غداءهُ كان يختلف جداً عمَّا اعتاد ان يتناولهُ في بيته من المآكل

ثم انَّ الرجل قدَّم لفاضل قنينة من خمر بوردو قائلاً: اشرب من هذه الخمر الجيّدة فأنها تقوّي المعدة وتزيد شهوة الاكل

قال فاضل: لم تسبق لي عادة بشرب الخمر

— نعم لا اجهل ذلك فمن مجرَّد النظر الى وجهك يعرف كلّ احد انَّك لا تشرب غير الماء صرفاً. ولكنني أُريد اسقيك الخمر لترى طيبتها وحسن فعلهـا . فاشرب اذاً هذه الكأس

فرفع فاضل الكأس وشربها. فقال الرجل:

أما انها من أحسن الخمر واجودها ثم فتح قنينة أُخرى وملأ منها كأس فاضل التي كانت قد فرغت وناولهُ فشرب. وما مضى يسير من الوقت حتى اضطرب دماغ فاضل واصبح كمن لا يعي ولا يُبصر. ثم جيء بالقهوة في فناجين كبيرة فزادت تأثير الخمرة في رأسه. واخيرًا نهض الاثنان ورجلا فاضل تكادان لا تحملانه فأمسك رفيقهُ بيده وذهب به الى الجنينة التابعة للمطعم وجلس معهُ على مقعد هناك في محلّ منفرد بعيد عن الابصار وناولهُ سيكارًا فاشعلهُ واخذ كلاهما يدخنان مسرورَين

وما كاد فاضل يتكئ على المقعد حتى انطبقت عيناهُ فثّل له الجبـالُ والدتهُ وهي تتفكر في مرارة اغترابه عنها وبقدّر انها تشخصهُ دائماً قبالة عينيها كما انهُ هو يمثّلها دائماً لذهنه. ولو أنَّها رافقتهُ لكان يدخلها الى تلك الجنينة الجميلة المنظر الكثيرة الاشجار والازهار ويُذيقها اطعمة غريبة شهيّة لم تذقها عمرها كلّهُ ويسقيها كأساً من اطيب النبيذ. ثم

رأى نفسه كأنه يتحدث معها تحت تلك الظلال الوارفة بفرح وسرور دون ان يكدر احد صفاءها. ولا يخفى ان التفكر بالوطن والاهل في ايام الغربة لهو من اشهى الاشياء للغريب. ومن ثم حسب فاضل تلك الدقيقة من احسن ايام حياته

غير انه بينما كانت افكاره مشتغلة بهذه الامور انتبه فرأى الظلال قد زادت تكاثفًا والشمس قد مالت عن الأفق ونظر الى ما حوله فلم يرَ احدًا فافتكر ان مُضيفهُ ربما يكون قد غاب عنه لمدة يسيرة ثم يرجع بعدها. فانتظر ولكن على غير جدوى فاستخبر عنه فلم يَفِهْهُ احد على خبره. فهمَّ بالانصراف فطالبوهُ بثمن النداء فاحتجَّ فلم يقنع احدٌ باحتجاجهِ. فمدَّ يدهُ الى منطقته ليُخرج منها الثمن المطلوب الا انهُ لم يجدها. . .

وفي اليوم التالي نشرت جرائد مرسيلية في جملة حوادثها المحلية خبر هذا السلب قائلةً:

« ان احد السوريين ممن اتيهوا مؤخرًا الى مرسيلية قد سُلب في جنينة روبيون. وذلك ان رجلًا حسن الملبس بعد ان غداهُ غداء فاخرًا واسكرهُ سلبهُ منطقتهُ وكان فيها مبلغ من الدراهم التي يه ذاك المسكين ليستعين بهِ على نفقة سفرهِ الى اميركة. امَّا رجال الشرطة فجادُّون في البحث ولكنهم حتى الآن لم يعرفوا السالب »

وطالع الناس هذا الخبر في جملة ما طالعوهُ من الحوادث ولكن دون ان يلتفت اليه او يرثي لحالهِ احد. ولا عجب لان حادثًا كهذا من الامور التي تقع كلَّ يوم في مدينة مرسيلية وغيرها من المدن الحافلة بالسكان

ولنعُد الآن الى فاضل ونشاهد ايَّ حزن حلَّ بهِ على اثر هذا الصاب فتراهُ راجعًا في الليل الى حيث كان رفاقهُ يقودهُ اثنان من رجال الشرطة كما يُقاد المجرم. وكان بصرهُ منخفضًا وقلبهُ يكاد يتمزق غمًّا. فلمَّا وصل بهِ الشرطيان نادَيا على رفاقهِ قائلين: « انهُ قد سُلب ». ثم تركاهُ وذهبا

وأخذ فاضل يتأمل في شقائهِ ويقول: يا تعساتك يا فاضل ويا نحس حظّك كيف ذهبت منك تلك الدراهم التي حصَّلتها بالكدّ والتعب وعرق الجبين واخفيتها عن كلّ الابصار ولم تكن تخرجها من مخابئها الا حتى تعدّها او تُضيف اليها غيرها. فكم كنت تقتصد حتى لا تمسَّها وكم كنت تحرم نفسك من اللذائذ حتى تبقيها كما هي فجاءت يدٌ اثيمة فجرَّدتك منها. آه ثم آه لقد عانيت الاسفار ومخاطر البحار حتى تصير غنيًّا وتكثر ما لديك من الدراهم فخانك الدهر وافقدك كل شيء. قبل ان تصل الى حيث

انتَ قاصد. فما كان ضرُّك لو بقيتَ في بيتك آمنًا مستريحًا دون ان تتغرَّب وتتحمَّل هذه البلوى. كيف وقعتَ مع ما تدَّعيهِ من الحذاقة والفطنة في فخاخ رجل مجهول يزعم كذبًا انهُ وكيل لاهمّ المحلاَّت التجاريَّة في ليون. ترى ماذا يقول يوسف وابرهيم وعبد الله وموسى خاصَّةً اذا ما بلغهم خبرك ألا يستهزئون بغبارتك وتغفُّلك وتصير احدوثة في افواههم وافواه اهل كلّ القرية. وماذا يؤمنك ايضًا أن لا يتَّصل الخبرُ بجرائد بيروت فتدرجهُ في اعمدتها وتنشرهُ في كلّ انحاء سوريَّة. ثمَّ ماذا عسى ان تقول والدتك التي كانت ترجو منك ان تبعث اليها بالدراهم تباعًا اعتمادًا على مهارتك. ماذا عساها ان تقول اذا عرفت انك قد خسرت كلّ شي. واصبحتَ لا تملك شَرْوَى نقير

وبعد هذه الافكار كلّها خطر لهُ ان يركب البحر عائدًا الى سوريَّة. ولكنهُ كان قد اتَّخذ من الشركة التي تنقل المهاجرين الى اميركة تذكرة سفر ودفع قيمتها فعدولهُ عن السفر معها موجبٌ لخسارة ما دفعهُ فضلًا عن انهُ يضطرّ ايضًا الى دفع اجرة رجوعه فتصير الخسارة مزدوجة . وبعد هذا كله ماذا عساهُ ان يلاقي في سوريَّة سوى الاستهزاء والتهكُّم عليهِ. وكان موعد السفر في ثاني يوم صباحًا فقبل ان يطلع الفجر نهض لفيف المهاجرين توجهوا الى محطَّة السكة الحديديَّة فتبعهم فاضل معوّلًا على اللحاق بهم ومعلّلًا نفسهُ انهُ يخدمهم في اثناء السفر فيجود عليهِ هذا برغيف وآخر برأس من البطاطا المسلوقة وغيره بقبضة من الزبيب وهكذا يتعيَّش حتى يصل الى اميركة (ستاتي البقية)

كتب شرقية جديدة

C. A. Nallino: La Transcription des noms géographiques Arabes, Persans et Turcs: *Le Caire.*

هي مقالة افرنسية ذات ٢٩ صفحة بيَّن فيها صاحبها العـ... ...الهُ العلماء المستشرقون من الفوائد الجمَّة باتّباع قاعدة معلومة في نقلهم الاعلام العر... ...الفارسيَّة والتركيَّة الى اللُّغات الاوربية بحيث يستدلُّ القارئ لاول وهلةٍ على اللفظة الاصليَّة دون اشتباه. وقد اجاد الكاتب المذكور ببيان ضرورة الاتّفاق بين العلماء على هذه الكتابة الواحدة. ولكن نراهُ قد اخلَّ بذكرهِ الطريقة المؤدّية الى هذا الاتفاق. فانهُ يرتأي انَّ الحروف التي لا شبهَ لها في اللغات الاوربية يحسن بها ان تُكتَب بحرف منقَّط كالحاء

مثلاً (h) والصاد (ṣ) والضاد (ḍ) والطاء (ṭ) والظاء (ẓ) . اما بقية الحروف كالثاء والخاء والذال والشين التي لها شبهٌ في بعض اصوات اللغات الاوربية فانهُ يفضل اختيار هذه الاصوات ولو كانت حروفها مزدوجة فتكتب الذال (dh) والثاء (the) والخاء (kh) والشين (sh) . نتقول انَّ الطريقة المثلى لذلك اختيار حرف واحد اجنبيّ منقَّط كما وضعتهُ مطابع ليدن وتجري عليهِ مطبعتنا . والسبب ان اختيار حرفين للدلالة على صوت عربيّ ربما اوقع القارئ في الضلال . مثال ذلك لفظة « Adham » فيمكن قراءتها « أَدْهَم وأَذَم » ولفظة « Atham » يجوز ان تقرأ « أَثهم وأَتَم » وكذلك « Asham » لا يُعرف لفظها الصحيح أهو « أَسْهَم » او « أَشَم » . وقس على ذلك كلَّ الالفاظ الاجنبية التي يدخلها حرفان للدلالة على حرف شرقيّ مفرد . ولا مناص من هذه الشُبهات اللهمَّ الَّا بتعين حروف اعجمية مفردة يكون تنقيطها هو الدليل على اصلها ل . ش

دائرة المعارف

الجزء العاشر . للادباء سليمان ونجيب ونسيب البستاني طبع في القاهرة سنة ١٨٩٨

لا نظنُّ ان احدًا من قرَّاء المشرق يجهل اسم هذا الكتاب وما يشتمل عليهِ من المواد المختلفة والمباحث الشتَّى في كلّ اصناف العلوم البشريَّة . ودوائر المعارف عند الاوربيين كثيرة الَّا انَّ لغتنا العربية كانت في حاجة الى مثلهِ لينال الشرقيون حظَّهم من الاكتشافات الحديثة وترقّي اصناف العلوم الى ان استفزَّت الحميَّة الوطنيَّة المرحوم المعلّم بطرس البستاني لمباشرة هذا العمل الخطير . وكان انجز منهُ تسعة اجزاء حين اصابتهُ المنيَّة فحالت دون اتمام هذا الاثر المشكور

وها قد مرَّت على بروز الجزء التاسع نيف واحدى عشرة سنة وادباء الشرق ينتظرون بفروغ الصبر تتمَّة هذا المشروع الجليل حتى كادوا يقطعون الأمل من اتمامهِ اذ صدر منذ قليل هذا الجزء العاشر في مصر المحروسة . فما بلغ ديارنا حتى أسرعنا الى تصفُّح موادهِ والتقاط فرائدهِ فاذا هو كاخوتهِ السابقين قد قُدَّ من أديمهم وشُقَّ من نَبْتهم بل رأينا انهُ يفضل الاجزاء السابقة من وجوه منها انَّ اصحابهُ تمكَّنوا من جمع موادّ اغزر واوسع « واثبتوا ما بلغهُ عالم العلماء في خلال هذه المدَّة من الحقائق العلمية والاكتشافات التاريخية والاختراعات العصريَّة وما طرأ من الانقلابات الجغرافية » . ومنها ايضًا أنهم تحاشوا بعزيد

للحرص عن كلّ ما يمسّ التعاليم الدينيّة الصحيحة والمُعتقدات الصوابية. هذا الى غير ذلك من الصفات التي من شأنها ان ترغّب القرّاء في اقتناء هذا الكتاب النفيس

على انّنا احببنا ان نعرض للافاضل القائمين بتتمّة هذا التأليف الجليل بعض ملاحظات سنحت لنا في اثناء مطالعتنا لهذا الجزء لا تنديدًا بالكتاب بل لفائدة حسن الانتقاد وذلك على غاية ما يمكن من الايجاز لضيق المكان

واوّل ما نأخذ على اصحاب هذا الجزء عدم التناسب في سعة بعض الموادّ فانّهم ربّما افردوا لما ليس تحتهُ كبير امر مجالًا رحبًا «كشارية وسيلّي» مثلًا بخلاف موادّ أخرى التي لم تَرَ لها ذكرًا البتّة «كالصّبر» (للفضيلة) و«شكّة» من اقدم مدن ساحل فينيقية (راجع رسائل تلّ العمارنة). او ذُكرت باسطرٍ قليلة لا تكاد تفي بالموضوع «كسمان العامودي». ويلحق هذا الباب المبالغة في شرح بعض الموادّ ولو كانت مفيدة كمادّة «سودان» مثلًا التي توسّع فيها اصحاب الدائرة توسّعًا مفرطًا (٥٢ عمودًا). وادرجوا فيها كثيرًا من الحوادث التي هي احرى بتأريخ مطوّل منها بدائرة معارف

ثانيًا وقد رووا قصصًا كثيرة وحكايات قرنية مختلفة يظهر فيها التلفيق والاصطناع دون ان يبدوا في ذلك رأيهم او يحذّروا عن كذبها قرّاءهم كما ترى في مادّة «سليمان» و«شيرين» و«شيطان» و«سماء» الخ

ثالثًا ولم يحسنوا في ابوابٍ كثيرة التمييز بين غثّ الامور وسمينها فنقلوا عدّة اشياء منافية للحقّ دون تردّدٍ كافٍ فيها كما جاء في مادّة «سوسيالسم» وقد عدّوا من الاشتراكيين طائفة الاسينيّة (Esséniens) وبعض الجمعيات المسيحيّة في القرون المتوسّطة التي كان من شأنها المعيشة المشتركة كعيشة الرهبان. فانّ هذه الفئات كانت تبعد عن مبادئ الاشتراكيين بُعد السماء عن الارض. وكذلك لم يحسنوا تعريف «الشهيد» اذ قالوا «انّهُ هو الذي يختار القتل على ترك دينهِ» فتُرى أيدعون شهيدًا من يموت في سبيل عبادة الاصنام؟ وكيف رضي اصحاب الدائرة ان يدعوا بالشهداء قتلى حروب الالبيجيين وغيرهم من الهراطقة المتمرّدين على السلطة؟. وفي مادّة «الشمّاسات» ايضًا ما لا صحّة لهُ

رابعًا وقد وجدنا عدّة اعلام في غير موضعها كترجمتي ابن جابر وابن دانيال في «شمس الدين» وابن الرحبي في «شرف الدين» ولا يخطر على بال احد ان يطلبها في حرف الشين. وكذا قل عن «الشاقل» بدلًا عن «ثقل»، لان الشين العبرانية كثيرًا ما تناسب الثاء

خامساً وقد نقلوا كثيرًا من اوصاف المدن بحرفهِ عن ياقوت وقدماء الجغرافيين لم يزيدوا على اقوالهم شيئًا لتعريف حالة هذه المدن في ايامنا . فاملّ الذي كان صوابًا منذ ستمائة سنة لا يصحّ اليوم . مثال ذلك « سيراف وسواد وشاطبة وشاش وشام » وهلمَّ جرًّا . وفي بعض هذه المواد الجغرافية خلل في تحديد تخومها كما ترى في سوريَّة وكان الأولى ان يبيّنوا ما طرأ على حدود سوريَّة من الاختلاف في سابق الاعصار . وقد عدّوا من سوريَّة بلاد فلسطين وفي الشرح لم يكد يُذكر شيء عن هذه الناحية . وكذلك قد شُبّه عليهم في مادَّة « سيورك » فجعلوا المدينة الواحدة مدينتين

سادساً كنَّا نحبّ ان نعرف من ايّ مصدر أُخذت تراجم الاعلام العربية التي ورد ذكرها في الدائرة . فان تعيين اصلها يزيدنا بها ثقةً

سابعاً لم يتَّبع اصحاب الدائرة خطَّةً واحدة في نقل الالفاظ الفرنسية او الانكليزيَّة فترى حرف الصاد منقولًا على صُوَر شتَّى نحو : s, ss, z, c وحرف ش : ch ,sch, sh,c, هذا فضلًا عن اغلاط كثيرة في نقلها نحو : Trimeterre (٣٩٧) عوضًا عن Fumeterre و Oriole (ص ٧٢٢) عوضًا عن Loriot و Somaïsât (ص ٩٣) عوضًا عن Samosate و Sinde (ص ١١١) عوضًا عن Sind و labiatifloraæ (ص ٥٠٧) عوضًا عن labiatiflorée و Syanogen (ص ٢٨٤) عوضًا عن Cyanogène الخ . والله الموفّق الى الصواب ل . ش

شتّى

الكلُّوغراف

قد ذكرنا في عدد سابق (ص ١٤١) وصف آلة الكينيماتوغراف وتمثيلها لصور الحركات في الفانوس السحري الَّا انَّ لهذه الآلة خللًا ينجم عن حركات الصور المتتابعة واهتزازاتها فيحصل من ذلك قلَّة جلاء في نظر الصور وعناء لعين الناظر . وقد اخبرت الجريدة الانكليزيَّة الفوتغرافية انَّ المسيو دُنّ (Dunn) اخترع آلة غايتُها ازالة هذه الحركات بحيث يرى الناظر الصور متواصلةً كأنَّها صورة واحدة . واسم هذه الآلة الجديدة « كِلُّوغراف »

وقد طلب المسيو دُن من جمعية انكليزية تُدعى «Eastman C^{ie}» في مدينة روشستر ان تصطنع لآلته ثلث جُليدات فوتوغرافية طول كلّ واحدة عشرة اميال اي نحو ستة عشر كيلومترًا وثمن الجُليدة الواحدة خمسون الف فرنك فتُلحَم الجليداتُ الثلاث ببعضها وتُلوى على بَكَرة ثم تُنشَر وتُدار في المصباح السحري. وهذه الجليدات تمثّل واقعة حربية جرت لكرّيبت ماك كوي في بوفالو

ويقتضي لبسط هذه الجليدات امام الجمهور ثمانون دقيقة ويمرّ امام اعين الشاخصين ست عشرة صورة في كلّ ثانية. فيكون مجموع الصور المرسومة على الجليـدات الثلث ٧٦,٨٠٠ صورة تمثّل الواقعة الحربية بغاية الدقّة بحيث يظنّ الناظرون انها جارية نصب اعينهم بكل ظروفها واهوالها المحجمة

مداواة الوباء البقري

روى البشير انّ الكثالير موراندي الايطاليّ الميلاني اكتشف دواء ناجعًا لعلاج الوباء البقري الذي يظهر في افواه الحيوانات واظلافها بشكل نفّاخات او بثور. والدواء المذكور في غاية البساطة ورخص الثمن وذلك ان يؤخذ نقيع الصعتر البرّي فيُصَبّ على الموضع المصاب بالبثور بعد غسله بالماء وتنظيفه جيدًا واذا وُضع منهُ شيء في المياه التي تشربها المواشي وقاها من الداء

اسواق العرب في الجاهلية

هي المقالة التي نسج بُردتها حضرة محمود شكري افندي الآلوسي البغدادي فحرّرناها في العدد التاسع عشر من المشرق. استحسنها القرّاء فاثنوا على كاتبها. وقد نقلتها مجلة الهلال برمّتها في عددها الاخير لتعميم فوائدها بين [illegible]

حيرشالا ومرتمون

اشتبه علينا اسما هذين العَلَمين الواردين مرارًا على هذه الصورة في كتاب تاريخ بيروت فافادنا الفاضل الاديب الامير شكيب ارسلان انّ «حيرشالا ومرتمون» تصحيف «حرف شالا ومرتغون» وان الاولى مزرعة في اراضي قرية كفرمتّى بجوار مزرعة رمطون. والثانية مزرعة في شرقيّ خلدا وجنوبيّ شرقيّ صحراء الشويفات كانت سابقًا مأهولة وهي الآن من املاك سعادة الامير مصطفى ارسلان. فنشكر فضل الكاتب شكرًا طيّبًا

لغز رياضيّ

ما هو العدد المركَّب من ستَّة ارقام آخِرها من جهة الشمال عدد ٤ فان نُقل هذا العدد الى جهة اليمين اصبح العدد الحاصل من هذا التغيير ٢/٣ العدد الاصلي. فالمطلوب تعريف هذا العدد الاصلي باسيل قرّا من حلب

اسئلة واجوبة

س سألنا حضرة القس جرجي الرزي من المنصورة هل بقي شيء في المكاتب الشرقيَّة او الاوربية من ترجمة الشاعر السرياني ثاوفيل الرهاوي لقصائد هوميرس الشاعر

ترجمة هوميرس بالسريانية

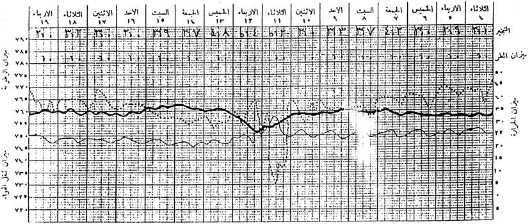
ج أنهُ لامر ثابت انَّ ثاوفيل الرهاوي الماروني رئيس منجمي الخليفة المهدي ابي هرون الرشيد «نقل كتابيْ هوميرس على فتح مدينة ايليون (اعني الالياذ والأُوديساي) من اليونانية الى السريانية بغاية ما يمكن من الفصاحة». يشهد بذلك ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٢٢٠) وفي تاريخهِ السرياني (طبعة الاب بدجان ص١٢٨). اما آثار هذا العمل الجليل فقليلة جدًّا وقد روى حضرة الاب جبرائيل القرداحي بيتين منهُ وجدهما في بعض الكتب الخطّيّة (كتاب الكنز الثمين ص ٤٠). والمستشرق الشهير برلس لاغرد وقف ايضاً على بعض ابياتٍ متفرّقة في بعض تآليف يعقوب بَرْ شكّو اسقف مار متَّى فاثبتها في المجلَّة الانكليزيَّة (Academy) في تشرين الاول سنة ١٨٧١ ص ٤٦٧

س وطلب الينا الخواجا انطون افندي السابكي ان نبيّن لهُ. أتبقى النفس في جوهرها في حالة الجنون ام لا

جوهر النفس في حالة الجنون

ج انَّ النفس كما لا يخفى جوهر بسيط فلا تقبل الزيادة والنقصان من حيث هي جوهر. وانَّما تتَّصف بصفات عرضيَّة تزينها او تشينها دون ان تُلحق بجوهرها تغييرًا وكذا قل عن حالة النفس في الجنون فانَّ ذلك لا يتأتّى عن نقصٍ في جوهرها بل من خلل يطرأ في قواها المشتركة كالمخيّلة والحافظة او في الحواسّ او الدماغ. ومن المعلوم انَّ النفس لا بُدَّ لها من هذه القوى وهي تتّخذ منها موادّ علومها المفردة فتجرّدها بفعلها عن المادّيات وترتقي بها الى حالة الكليّات ثمَّ تبرز عنها حكمها. وذاك فعل النفس الناطقة بمعزل من الجسد

قائمة للآثار الجوّيّة من ٦ الى ١٩ تشرين الاول ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعشر الملمترات

المشرق

نظرٌ عقليٌّ في لزوم الدين

للاب لويس معلوف اليسوعيّ

هي مقالة اقترحناها على حضرة الكاتب ردًّا على مزاعم بعض الكتبة المصريين الذين يستنكفوا من تقويض اركان الدين والحطّ من شأن اربابهِ هدام الله الى سواء السبيل

انَّ علم الفلسفة النظريَّة يثبت ببراهين دامغة لا مردَّ عليها حقيقتين من اعظم الحقائق وأهمّها شأنًا: الاولى انَّ الله موجود دحضًا لترّهات الكفَرة. والثانية انَّ النفس الانسانية روحٌ غير قابلة الموت عكسًا لما يزعمهُ المادّيون بمذاهبهم الواهنة. ولذلك استندتُ في بدء الكلام الى هذين الركنين المتينين اللذين يسلّم بهما كل عقل صائب لم يتمادَ في طغيانهِ ولم يختم الفساد على قلبهِ. وعن كليهما أُجِلّ القارئ اللبيب. وها اني اخوض في موضوع الكلام واقول انَّ الدين لازم للانسان لزومًا كليًّا

١ اخصّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين

١ انَّ البراهين التي تستند اليها حقيقة لزوم الدين لاقامة هذه القضية وتأييدها لعديدة أَتّخذ اوَّلها من اعتبار ماهيَّة الله وماهيَّة الانسان

ما الدين الَّا عبارةٌ عن مجموع حقائق وفرائض تقوم على علاقات موجودة بين والانسان. والحال ان هذه العلاقات واجبة لازمة. اذًا والحقائق والفرائض القائمة عليها الناتجة عنها واجبة ايضًا. فالدين اذن واجبٌ

اقول انَّك ان وجَّهتَ نيّر عقلك وامعنت النظر في صفات الباري وماهيَّتهِ وصفات الانسان وماهيَّتهِ أضحيتَ على يقين من ان مجموع الفرائض والحقائق التي يقضي الدين بها هي واجبة راهنة. اذ ما الله وما الانسان؟ الله ماهيَّةً وجوهرًا ووجوبًا هو خالق الكون وحافظ البريَّة وربُّ الخلائق كلّها وغايتها القصوى. ذلك لانهُ هو العلّة الاولى وهو الكائن

الاسمى وهو مصدر كل خير وسعادة. امَّا الانسان فهو من كل وجه وفي ايِّ اعتبـار اعتبرتهُ صادرٌ عن الله وخليقتهُ وتحت يده. ويتعلَّق به تعلقاً مُطلقاً لازماً تعلق العبد بسيده والمرؤوس برئيسه والمحفوظ بحافظه والمخلوق بخالقه. ونسبةُ الانسان هذه الى ربهِ لا يستطيع الله ذاتهُ أن يُلاشيها او ان ينقلها. نعم انَّهُ تعالى باديُّ بدء لم يكن ليضطرَّهُ امرٌ ليُبدع ما بَدَعَ بل اختياراً وتبرُّعاً خلق الخلائق واوجد الانسان. ولكن الآن بما انهُ اراد ان يخلق وفعلاً خلق فلا بُدَّ من وجود العلائق والنِّسَب التي تقتضيها طبائع الاشياء وماهيَّاتها ولاسيَّما ما تقتضيه ماهية الناطقات. وعليه فمن المحال ألَّا يطلب الله من الانسان مخلوقه طاعةً وحباً وعبادةً لانَّ طاعة الانسان لربه وحبَّهُ وتعبُّدهُ لهُ تلك فروضٌ واجبة تقوم على مُقتضيات طبيعة الله وطبيعة الانسان. وهيهات ان يُبطل باري البريَّة الحكيم القدُّوس ما تقتضيه طبائع الكائنات وجواهرُها. فالدين اذاً لازم

ذاك دليل يكفي على موجز عبارته لردّ اقاويل حملة راية الكُفر الذين جرَّهم الجهل او التجاهل الى نكران وجوب الدين وهي حقيقة جلية لا تشكل الَّا على من اراد بعقله عـنتاً وظلماً

٢ واليك برهان آخر يتطرّق اليه من نظر في الهيئة الاجتماعية بعض النظر. (اولاً) انَّ الهيئة الاجتماعية لازمة للانسان. وهي لا قِوَامَ لها بدون دين فالدين اذاً واجب. امَّا كون الانسان في عوزٍ الى الهيئة الاجتماعية فذلك لعمرك امرٌ بيّن لا مجال فيه للريب والشك. لو لم يخلق ربُّك الانسان للهيئة الاجتماعية فلِمَ ما ترى حلاهُ بقوَّة النُطق والتعبير عمَّا يختلج في فؤاده من العواطف والافكار؟ أما كان ذلك لدون غرض وعارياً عن كل فائدة. وربُّك حكيمٌ في كلِّ ما صنع. ثمَّ انَّ لزوم الهيئة الاجتماعيـة هذا يَظهر من كون الانسان لو تُرِك بمعزل عن مجانسيه لا سبيل لهُ الى حسن التناسل ولاسيما الى التربية والتهذيب والتعلُّم وتثقيف قواهُ الطبيعية. على انَّ تلك القوى تقتضي ذلك كلَّهُ. زِدْ انَّ الانسان لو عاش منفرداً لأضحى في عجزٍ كلّي عن ردّ الآفات والامراض الجمَّة والمخاطر المحدقة به من كلِّ جهة يوجّه اليها خطواته. اذاً لا مندوحة للانسان من أن يكون في هيئة اجتماعيَّة يؤازرُ ابناء جنسه ويؤازرونهُ على بلوغ الكمالات ونوال الغايات التي تحثُّهُ طبيعتهُ وقواهُ الباطنة على التوصل اليها

وقد قلتُ انَّ الهيئة الاجتماعية اللازمة للانسان يستحيل وجودها ان لم تقُم على دعائم

الدين. ذلك لأنَّ لهذه الهيئة حقوقاً وواجبات مُتبادلة بين أفرادها وتلك الواجبات والحقوق ما من وسيلةٍ فعَّالة ناجعة لعرضها واجرائها الجرى الكافي الحسن ألا الدين. فلا هيئة اجتماعية اذاً ألا بالدين

فليصدق الانسانُ عقلَهُ ويعتبر ماذا تصير اليهِ مجتمعات البشر اذا ازيلت العقائد الدينيَّة من الافهام واغفل القوم وجود الهٍ قدير عليمٍ بصير يُجازي المحسنين ويعاقب من أساء. الى ايّ الوهاد تتدهور أعضاء تلك الهيئة من المظالم والفواحش والقبائح وايّ حاجز يبقى هناك لحجزهم عن الشرّ وردعهم عن ابعد ما تتصوَّرهُ المخيِّلات من طرق الفساد. أتقول القوَّة المادّيَّة ? انها وحقّك تعجز عن تقويم اهواء الانسان والميل بهِ الى جادَّة الصواب. ولو كانت القوَّة المادّيَّة هي الوسيلة الوحيدة لإقناع الانسان وحملهِ على اتمام واجباتهِ لمَا نالت منهُ ألا الشيء اليسير او جرَّتهُ الى الدمار في اقرب من لمح البصر

أَجل لقد صدق افلاطون كلَّ الصدق اذ قال: « انَّ من دكَّ دعائم الدين فقد دكَّ دعائم كل هيئةٍ اجتماعيَّة انسانية ونقضها نقضاً »

واصاب ڤولتير نفسهُ اذ كتب: « انهُ لو كانت ارباب الرئاسة على وجه البسيطة كفَرَةً لا يُذعنون لدين لكان التغلُّب بين ايدي الابالسة اهون وأيسر من الانقياد لهم »

وخذ التاريخ وقلِّب صفحاته ترَ انَّ الممالك والأُمم كانت تتقدَّم في المَدَنيَّة الصادقة وتنحطّ عنها على حدّ إعلاء شأن الدين فيها او انحطاطهِ

٣ ومَّا يؤيّد هذه الحقيقة التي نحن في أمرها كون شعوب الارض في كل آنٍ ومكانٍ قد اذعنوا لها وعملوا بها واستناروا بسناء اشعَّتها

بيِّن لنا علم المنطق أنَّ إجماع الامم واتفاقهم على الاعتقاد بحقيقة من الحقائق المُهمَّة المنوطة بشأن من شؤون النظام الاجتماعي او الادبي او الدين مّا لا يبعد ان يتلألأ للعقل صدقها لجلائها وتيسُّر معرفتها لهو برهان كافٍ لذاتهِ ودليل قاطع على أنَّ تلك الحقيقة راهنة صادقة يجب التسليم بها. والحال ان لزوم الدين ووجوبهُ لحقيقة اعتقد بها كلُّ شعوب الارض مشارقها ومغاربها وذلك امر راهنٌ معلوم عند كلّ من لهُ بعض الإلمام بتواريخ الدهور. اليك المشترعين ومن سنّوا السُّنن فإنَّهم سندوا جميعاً مصدر ما اشترعوهُ وصوابهُ والزاميتهُ الى حكمة العلي وتدبير الخالق وعدل الربّ المالك ومنهُ كانوا يستمدُّون لمن تعدَّى الشرائع عقاباً منكّلاً ولمن حفظها ومشى على خطَّتها جزاء حسناً. اليك

الفلاسفة: فلست تكاد ترى منهم حتى الذين ارتابوا وشكّوا في بعض الحقائق المهمّة الشأن مَنْ لم يسلّم بوجود حياةٍ اخرى بعد هذه الحياة وبوجود اله يجب السجود لهُ ولم يعتدّ هذه الحقيقة لازمةً لزوماً كلياً لحفظ الشرائع السياسية والهيئة المدنية ويعتبرها كسورٍ لها منيع لا مناصَ منهُ ولا استغناء عنهُ. امّا الامم فأنهم كما سبق القول قد اعتقدوا بوجود اله تجب عبادتهُ ويحقّ السجود لهُ سجوداً باطناً وظاهراً وهذا إجماع الامم قد شهد عليهِ كل مؤرّخٍ وجغرافي وفيلسوف بين السَّلَف والخلَف. ولاتّسع بنا المقال فوق ما قصدنا لو اتيناك باقاويلهم في هذا الشأن. ولو اقتضى الامر لأوردنا لك من شهادات المعاصرين من العلماء ما لا يترك للريب محلاً

٢ يقضي الدين بعبادة الله الباطنة والظاهرة

ظهر لك من البراهين الثلاثة السابقة لاسيما اوّلها انّ الانسان من طبعِهِ وجوهره ديّن وانّ الدين لازمٌ لزوماً كلّياً. وازيد انّ العبادة التي تقتضيها الدين لا تكفي ان تكون باطنة فقط محصورة في اعمال النفس الإرادية والفهميَّة. بل يجب ان تكون ايضاً خارجة ظاهرة تتناول بعض الاعمال الحسيّة فتكون مترجمة عن عواطف النفس وتشرك الجسد في تأدية فريضة الاكرام والخضوع لبارئهِ. وذلك تُسلّم لنا بهِ ان اعتبرتَ أنَّ الدينَ دين الانسانِ. والانسان من حيثية جوهره مركَّبٌ من نفس وجسد. فوجب التعبُّد لا على النفس وحدها بل وعلى الجسد ايضاً

وان شئت زيادة ايضاح في ان الدين فرض على الانسان كلّهِ قلت ان ذلك يُستدَلّ عليهِ. (اوّلاً) بأنَّ العلاقات التي ذ[illegible]ناها سابقاً بين [illegible]نسان تُطلق على هذا بكلّيتهِ من حيث نفسهِ وجسدهِ. لانَّ الله لم يخلق نفس الانسان بمعزل عن جسدهِ بل نفساً وجسداً بَدعَهُ وكذا قل عن باقي العلاقات بين العبد والمعبود. (ثانياً) بانَّ الانسانَ من طبعِهِ ان يُظهر بعلاماتٍ واشاراتٍ ومظاهر خارجية جسديَّة ما يجول في سريرتهِ من الحبّ والاكرام وغير ذلك من العواطف. بل اقول انّ تلك العواطف وما ضاهاها لا دوام لها في القلب ولا تُعتَمّ شيئاً فشيئاً على ممرّ الايام ان تضعف وتزول ان لم يكن لها من الاعمال والمظاهر الحسّية الجسديَّة ما يجعل الانسان ان ينفعل لها انفعالاً كاملاً مناسباً لطبيعتهِ الروحية الجسدية فيكون لها من ذلك ما يحفظها ويعزّزها. (ثالثاً)

بأنَّ الدين كما سبق القول رباط وعلاقة بين اعضاء الهيئة الاجتماعية . والحال أنهُ لو كان الدين باطناً فقط لما امكن أن يكون رابطاً اجتماعياً . وهذا لا يتحقَّق الَّا ان تكون هناك دلائل حسية تنبئُ بمضمونات القلوب — والَّا استحال على الهيئة من حيث هي ان تؤدّي لخالق وربّ السلطة فريضة العبودية والشكران

ومن هنا ترى شطط بعض السَّفسَطيّين اذ زعموا فيما يزعمون ان الدين حقُّهُ ان لا يتعدَّى خزائنِ القلوب . وكذا يتضح لك انهُ قد اخطأ ايضاً المرمى ذاك الذي ذهب الى ان الاديان يجب ان تنزوي بين جدران الهياكل

٣ دحض حجج المترضين

على ان المقاومين لحقيقة التي مرَّ اثباتها يعترضون علينا يبعض اعتراضات ربَّما دخلت على عقول القوم لما يجهدون في ترويجها بزخرف الكلام وتمويه بطلانها ووهنها باسهاب المقال وسرد الادلّة السفسطية الفارغة . ولعَمْرُك انَّ حُججهم كلَّها لو أُوردَت ببسيط العبارة وموجزها وجُرِّدت عن المعمَّيات لما اشكل على فهم فسادُها . وبالحقيقة انها لأوهى من نسيج العنكبوت كما ستصدقنا ان امعنتَ نظرك فيها

١ يقولون مثلاً : ليس الله في عوز الى عبادتنا وايّ حاجة لهُ الى صلواتنا وتعبُّدنا . اذ لا داعي هناك يحمل الله على ان يتطلَّب منَّا عبادةً وتديّنا

أُجيب اننا نُسلِم بان الله لا عَوَز لهُ الى الانسان والى ما يفعلهُ الانسان او يقولهُ . وما من عالمٍ من علمائنا يذهب الى ان تديُّن الانسان ينفع الله نفعاً ما او يزيدهُ كمالًا من الكمالات . وليست تلك حجَّتنا ولا على ذلك الركن اقمنا برهاننا . انما اراد الله الانسان ديّناً لانهُ من الواجب وجوباً مطلقاً كليًّا ان تجري المخلوقات على خطّة ما تقتضيهِ جواهرها وطبائعها . وطبيعةُ الانسان الناطقة تقتضي ان يُدرك علاقاتهِ مع ربّهِ فيعترف بها ويخضع متعبّداً

ولعلَّك تردّ عليَّ وتقول : ان كانت تلك ارادة ربّك فلِمَ يا ترى لا يلاشي اللهُ الكفرة من وجه الارض ولِمَ يدع الفساد ينتشر ويفشو بين الناس . (أُجيب) انَّ هذا الريب يزيلهُ من ذهنك أن تعتبر انَّ الله خلق الانسان حُرًّا وقد تركهُ حرَّ العمل في امر التدين والتعبد كما في سواهُ . حرّ الانسان ان يترك الدين او يتبعهُ وحرٌّ هو ان يأتي اعمالًا تنهاهُ

عنها ارادةُ العليّ . لكنهُ سيأتي يومٌ وهو لا محالة آتٍ بهِ يحاسبهُ الديَّان عن كل ما اقترفتهُ يداهُ ومال اليهِ قلبهُ وعندئذٍ ينتقم الخالق لما سنَّتهُ ارادتهُ الصمدانية على بني البشر ولا يكون عِقاب الكاذبين باقلّ تمجيدٍ لعدل الباري مما هو جزاء الصالحين الذين لحبهِ وصلاحهِ وجودهِ . وعليهِ ترى ان الله بحكمة صنع الانسان حرًّا وتركهُ حرًّا من حيث الاتّصاف بالدين وعدم الاتّصاف بهِ وليس هناك امرٌ يُجحف بحقوق المالك العليّ

٢ ويعترض المعترضون انَّ عبـادة الانسان ناقصةٌ فاذًا غير لائقة بجلال الاله ورفعتهِ زاعمين انَّها تحطُّ من قدر المعبود حطًّا لا يقبلهُ العقل . اذ لو قابلناها بعلوّ الاله وكمالهِ لبانت لنا انَّها لأقرب ان تكون اهانةً من ان تكون اكرامًا

(جوابنا) انهُ ليس يحطُّ قدر الاله الخالق انَّ الخلائق التي بدعها تجري على سننها وتعمل بمقتضى طبيعتها وجوهرها . ثم لقد تنازل الله وجبل الانسان على صورتهِ فلمَ يا ترى لا يتنازل ويقبل سجودهُ وعبادتهُ . أيكون لائقًا بالله ان يخلق الانسان وغير لائق بهِ ان الانسان يعرفهُ ويحبهُ ويكرمهُ ؟

٣ ومنهم من يقول : ما الدّين الّا مجموع اوهام ومعتقدات فارغة استنبطها ارباب السياسة والحكّام والكهنة وسيلةً لبلوغ مآربهم

(اجيب) ان القول بان الدين اخترعهُ ارباب السلطة لزعمٌ فارغ ليس لمن يزعمهُ مستند تاريخي يستند اليهِ ولا استدلال واقعي يستدلّ بهِ ويركن اليهِ مقالهُ . بل ان تصفحت تواريخ الامم تجد انَّ الامر على عكس ما يلفقونهُ . هذا من حيث واقعيَّة الامر . امَّا اذا اعتبرتَ هذه المسألة اعتبارًا عقليًا فيظهر لك جليًا عدم ام[illegible]ه . اذ لا سياسةَ الّا في الهيئة الاجتماعية وبعدَ تنظيم هذه الهيئة . فهذه قبل تلك وهي اي الهيئة الاجتماعية تقتضي الدين بل كما سبق القول يكاد يستحيل ان يقوم لها قائم ان لم يكن الدين لها اساسًا وعمادًا . فاقتضاء الدين اذًا قبل اقتضاء السياسة وهو من المحال ان يصدر عنها فانَّ الشي لا يصدر عمَّا يعقبهُ ولا يسلّم العقل بامكانيَّة وجود المعلول قبل علّتهِ . وبما انَّ السياسة بعد الدين ولا تسبقهُ في نظر الفهم فلا وجه للقول بانها علّتهُ

٤ وكثُر ما يحتجُّ علينا المقـاومون بانَّ هناك عددًا عديدًا من القوم المتديّنين يرتكبون الفحش الفواحش ولا يردُّهم دينهم عن تتبُّع طرق الفساد . اذًا لا فائدة للدين في الهيئة الاجتماعية ولا فضل لهُ على الكفر ولعلّك ترى مَنْ لا دين لهم قد اتّصفوا

بفضائل جمة وألفوا محاسن يعترف بها المنصفون ويلهج بذكرها الواصفون

نقول انّ هذه الحجة ليست من السداد على شيء عند مَن قدَّر الحوادث قدرها وأرجع المعلولات الى عللها. أرَ هل فساد بعض القوم المتديّنين وشرّهم ينشأ عن مباشرتهم امور الدين وقيامهم بموجباته ؟ انّما ذلك لانّ فعالهم تناقض معتقدهم أو لأنهم ليس لهم من الدين الّا اسمهُ

امّا اصحاب الكفر فهم بعكس ذلك فانّ افعالهم اذا حَسُنت تُخالف معتقدهم كلّ المخالفة فلو اعتبروا ما هم عليهِ من إنكار وجود اله ديّان عليم وسلكوا مسالكهم بمقتضى هذا الوهم لأصبحوا وحقّك شرّ الملا ولَرُبا فسادهم وإجحافهم بالحقوق على كل ما تتصوّرهُ الاوهام. امّا فضائلهم وترّر ما تجدهُ عندهم من اعمال الصلاح فمصدرهُ احد امرين امّا لاقتباسهم بعض مبادئ دينية يعملون بها ولا يفطنون اليها واما لحبّهم الراحة والسكينة والشرف العالميّ او خوفاً مما تجرّهُ عليهم مبادئهم ان عملوا بها من العواقب الوخيمة

٥ واليك اخيرًا ما يرتأونهُ من عدم وجوب العبادة الظاهرة قائلين: انّما الله روح اذًا يجب عبادتهُ والسجود لهُ بالحقّ والروح فقط. لاسيما وان المسيح ذاتهُ علّم هذا التعليم اذ قال: «لأنَّ الله رُوحٌ والذين يَسْجُدُون لهُ فبالروح والحقّ يَنبَغِي أنْ يَسجُدُوا» (يوحنا ٤: ٢٤)

اجيب انّ الله لا شكّ روح متنزّه عن المادّة. ولكن أينتج عن ذلك انّ عبادة الانسان لهُ يكفي ان تكون عبادة روحية ليس للجسم فيها مشترَك ؟ كونُ اللهِ روحاً انما ينتج عنهُ ان عبادة الانسان يجب ألّا تكون قاصرة على امور جسدية مادّيّة ظاهرة. بل ينبغي ان تكون ممتزجة بعبادة باطنة روحية تصدر عنها صدور الزهور والثمار عن الشجر. امّا كلام المسيح السيد فما كان الّا لتقريع اليهود وتشنيع طريقهم لانهم كانوا يقصرون عبادتهم على بعض مراسيم مادّيّة ومظاهر خارجة غير مكترثين بتعبُّد القلوب وصدق العواطف. فما كانوا الّا مُرائين يغشّون الناس ويطغونهم بما يتباهون بهِ في اعين القوم من شعائر الدين. على ان العبادة الظاهرة اللهمّ ان كان مصدرها القلب قد حرَّضنا عليها المسيح ربّنا باعمالهِ واقوالهِ وامر بها مرارًا تارةً بمضمون الكلام واخرى بصريحهِ

ولا تقل انّ الله انما ينظر القلوب فيرى عواطفها وتعبُّدها وخضوعها لهُ سبحانهُ وتعالى فلا حاجة لهُ الى ادلّة ظاهرة حسيّة تنبئهُ بها. وعليهِ فلا نفع من العبادة الظاهرة ولا

طائل تحتها. نعم وكل عاقل يقرّ ويسلم بانَّ الله عالم الخفيات وكاشف البواطن ونحن لم نقل بوجوب العبادة الظاهرة استنادًا على أنها لازمة لإطّلاع العليّ العليم على ما انطوت عليهِ الصدور. انما اتخذنا الدليل على وجوبها وضرورتها من اعتبار جهة الانسان ولانهُ بكليّتهِ خليقة ربّهِ وكلّ ما فيهِ روحًا او جسمًا يجب ان يشترك في تسبيح الربّ المبدع المالك. زد انَّ العبادة الظاهرة في حدّ ذاتها وبالنظر الى قوى الانسان تساعد على احياء العبادة الباطنة وتعزيزها وتنبّه المرء على القيام بها والمداومة عليها

هذا وكنّا نودّ ان نختم هذه النبذة الوجيزة باثبات شيء مما ورد في مصنّفات مشاهير الكتّاب وائمة الشعوب المتمدّنة نظمًا ونثرًا لبيان ما نحنُ بصددهِ بل لكنّا ادرجنا اقاويل صريحة لكثيرٍ من زُعماء الكفرة يذعنون للحقّ من حيث لا يدرون او يقرّون جهارًا بشططهم رغمًا عن معاطسهم ألا ان ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ ونكتفي بنقل الكلام الشريف الذي فاه بهِ السيد الشهير جمال الدين الافغاني في ختام مقالتهِ على الدهريين:

« لو خويت القلوب من الدين لسكنتها شياطين الرذائل وسُدَّت عليها طرُق الفضائل ومن اين لِمنكرِ الجزاء أن يكفَّ نفسهُ عن خيانة او يترفّع بها عن كذب وغدر وتملّق ونفاق. وقد تقرّر ان العلّة الغائية لاعمال الانسان هي نفسهُ كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومهِ فما الذي يمنعهُ عن ذمائم الفعال وخصوصًا اذا تمكّن من اخفاء عملهِ وأمِن من سوء عاقبتهِ في الدنيا او رأى منفعتهُ الحاضرة في ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سَنَن الفضيلة وايُّ حامل يحملهُ على المعاونة والمرادفة والمرحمة والمروءة وعلوّ الهمّة وما يشبه ذلك من الاخلاق التي لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها. ولئن وُجد في احد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضةً للفساد او كان ابتر ناقصًا لفقد ما يمدّهُ من سائر صفات الكمال...

« فلم تبقَ ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطهُ شيء من اباطيل من يزعمونهُ ولا يعرفونهُ فلا ريب أنهُ يكون سببًا في السعادة التامّة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديهِ في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلّابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقليّ والنفسيّ ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

الفرسان الالمان في سوريَّة

للاب ايدي لوريول اليسوعي

انَّ أَلسنة الجرائد لا تزال منذ اشهر تحدّث القرَّاء عن قدوم جلالة القيصر الالماني الى انحائنا الشرقية فتراها تسترسل في الكلام عن صفات هذا الرجل العظيم وتطنب في محامده وتلهج في مديحهِ كما انَّها تصف وصفًا مُسهبًا التهيئات الفاخرة التي تقدَّمت بإجرائها الحضرة العلية الشاهانية حفاوة بضيفها الكريم

هذا وقد احببنا نحن ايضًا في هذه الفرصة ان نحيي اثرًا قديمًا كان في انشائهِ للالمانية الكاثوليكية في المشرق مجد اثير لنصارى القرون المتوسطة خير كبير. ألا وهي رهبانية الفرسان الالمانيين (Chevaliers de l'Ordre Teutonique) التي نشأت في فلسطين واتَّسعت الى انحاء الشام فصار لها بين رهبانيات ذلك المهد المقام الحسن. ومقصدنا في هذه اللُّمعة الموجزة ان نشير الى تاريخها مجملًا مع ذكر بعض مآثرها في سوريَّة

١ في نشأة رهبانيَّة الفرسان الالمان في سوريَّة

نشأت هذه الرهبانيــة في اواخر القرن الحادي عشر في القدس الشريف وكانت نجمت فيها عدَّة رهبانيَّات أُخرى غايتها اسعاف ذوي البأساء وتمريض اصحاب العاهات على اختلاف اديانهم وطوائفهم وايواء الغرباء المقطوعين والذبّ عن حقوقهم في سلوك طرقهم. وهذه الفئات الدينية لها كلها الاعمال المبرورة والمآثر المشكورة كفى باسمها إشارةً الى مبرَّاتها كفرسان مار يوحنَّا المعروفين ايضًا بفرسان رودس وفرسان مالطة ويدعوهم العرب بالاسبتالار (Hospitaliers) وكفرسان القديس لعازر المعتنين بخدمة البُرص وفرسان القبر المقدَّس المدافعة عن قبر المسيح. وفرسان القدّيسَين ثرما ودمياتوس لفكّ أغلال الأسرى وافتدائهم بالدراهم وكفرسان الهيكل الذين ورد ذكرهم مرارًا في تواريخ العرب وهم يدعونهم بالدواويَّة ويطرئون حماستهم. وكانت هذه الرهبانيَّات تعمُّ كلَّ طوائف العرب فتقبل اعضاء من أُمم شتَّى كما انَّها تسعى في سبيل صلاح الجمهور بقطع النظر عن اجناسهم واوطانهم

بيد انهُ لمّا كانت جموع كثيرة من الالمان تهرع لزيارة الاراضي المقدَّسة اخذت تضيق بهم المآوي في اورشليم وهم مع هذا ينطقون بلغةٍ لم يدركها سواهم من الفرنج فاصابهم لذلك بعض العناء في تحصيل معاشهم آونة مكثهم في بيت المقدس وأداء فرائضهم الدينية فيها. فاحسَّ بهذا الحرَج رجلٌ من اشراف الالمان من آل الثروة كان توطَّن بيت المقدس هو وزوجتهُ فتحنَّز لرتقهِ وتلافى الخلَل بان خصَّص كمّية وافرة من المال لانشاء مأوًى لا يسكنهُ سوى مواطنيهِ الالمانيين. فما نجز بعد زمن قليل مشروعهُ الخطير حتى صار ذلك المقام مقصدًا لعامَّة زوَّار المانية. وكان في ضمن المأوى كنيسة متَّسعة الارجاء دشَّنها بطريرك اورشليم ودعاها كنيسة السيدة مريم الالمانية (١. ولمّا كان موقع هذه الكنيسة على جبل صهيون دُعيت ايضًا بسيّدة جبل صهيون ولقبت رهبانيَّتهم بفرسان سيدة صهيون. فهذا الاثر القديم هو الذي حمل الالمانيين مؤخرًا على ان يسترخصوا في السكنى على هذا الجبل ليحيوا بذلك ذكرِ مفاخرهم السابقة

فسمع احبار رومة العظماء ببناء مأوى الالمانيين فسُرُّوا لذلك سرورًا عظيمًا ومنحوا الانعامات الخاصّة لذويهِ. وكان يترأَسهُ السيّد الذي انشأهُ وصرف عليهِ مالهُ للقيام بشؤونهِ. ولكن لم يلبث ان أنفد مالهُ تمامًا فاضطرَّ الى طلب الصدقات من المحسنين فجمع منها جانبًا امكنهُ من القيام بامر الزوَّار اخوتهِ. بل تأثَّر بعض اصحاب الخير من غيرتهِ المضطرمة في سبيل البرّ فتلمذوا لهُ ونبذوا ملاذّ العالم ليخدموا الفقراء والمرضى على مثالهِ وابرزوا لذلك نذرًا خصوصيًا. فعملت سيرتهم الصالحة في قلوب كثير من اعيان الالمانيين نزلاء فلسطين فزهدوا في العالم ولبسوا الثوب الرهباني وصرفوا مالهم في وجه الله سبيل الخير

ثمَّ لمّا رأوا انَّ كثيرًا من الالمانيين الذين يتجشَّمون الاسفار الى بلاد فلسطين ربَّما احاقت بهم الاخطار في طريقهم تعهَّد الاخوة على ان يحاموا عنهم ويردّوا غارات المعتدين عليهم. فدُعوا لذلك بفرسان الفئة الالمانية وكان هذا نحو سنة ١١٢٢ مسيحيَّة. واثبت البابا وان سلستين الثاني وأدريان الرابع هذه الرهبانية الجديدة ببراءتين اطلقا فيها اللسان بالثناء على اعضائها

---

١ راجع تاريخ المشرق ليعقوب دي فتري الجزء الاول الفصل ٦٦

٣ في نموّ رهبانيّة الفرسان الالمان وازدهارها في سوريّة

فلم تعتّم رهبانيّة الفرسان الالمان بعد ما حازته من الحظوى والالتفات لدى الاحبار العظماء ان تمتدّ وتنتشر فاضحت على مثال الحبّة الانجيلية شجرة باسقة الافنان وارفة الظلّ طيّبة الاثمار فابتنى اصحابها مستشفيات واسعة ومآوي رحبة للغرباء في مدن فلسطين وسوريّة لاسيا في عكّة

فبقي امر الفرسان الالمان على احسن حال واشهى مرام الى ان تبدّدوا سنة ١١٦٧ . ولمّا بلغ ساحل الشام فردريك دي سُواب ابن الملك فردريك بَربروس كان اوّل ما فكّر فيه ان يجمع امرهم فتمكّن من ذلك واخذ الفرسان يهتمّون بالجرحى والمرضى النصارى . وقد امتاز بينهم رجال من شرفاء مدينتَي لوبيك وبريم اذّى بهم حبّهم للقريب الى ان يبذلوا النفس والنفيس في تمريض ذوي العاهات

وفي تلك الاثناء اقام فردريك مركزًا لرهبانية الفرسان الالمان في مدينة عكّة الحريزة وبنى لهم هنالك ديرًا كبيرًا ومستشفى يسكنونهُ ويمرّضون فيهِ ذوي الاسقام سنة ١١٩١ . وكان موقع هذا المستشفى جنوبي المدينة بقرب الباب المعروف بباب القديس نيقولا وكان قبلًا يخصّ الارمن فخرب فاعطاهُ الملك غي دي لوسينيان مُلكًا للفرسان الالمان . وسنّ لهم فردريك سننًا انتخبها من قوانين الاسبتلار وقوانين الدواويّة وفقًا لغاياتهم

ثم كتب ملك الالمان الى البابا سلستينوس الثالث طلب اليه ان يثبت هذه الرهبانية بسلطتهِ العظمى فاجاب الى طلبتهِ ببراءة ابرزها في ٢ شباط سنة ١١٩٢ وعيّن للفرسان قانون القديس اوغسطينوس وقسم الرهبان الى ثلاثة اقسام منهم كهنةٌ لا يهتمّون ألّا بالروحيّات ومنهم فرسان من البيوتات الشريفة للمدافعة عن صوالح الزوّار ومنهم اخوةٌ شأنهم مساعدة الفئتين الاوليين في امورها. واختار للرهبان كسوتهم الخاصّ شملةً بيضاء يزينها صليبٌ اسود اللون مفضّض الحاشية

وكان عدد هؤلاء الفرسان باديء بدء محصورًا لا يتجاوز الاربعين عدًّا لكنّهُ بعد زمن قليل ألغيت هذه السنّة فاخذت الرهبانية بالازدياد ونما عددها نموًّا كبيرًا حتى انتشرت في انحاء الشام لاسيا سوريّة الجنوبيــة . وكان اوّل من اقيم رئيسًا عامًّا على هذه الرهبانية في عكّة رجلٌ من فضلاء عصرهِ يُدعى هنري قَلْپوت دي بَسْنهَيم وكان وَلوعًا بصالح جمعيّتهِ

فحسَّن حالها وقوّى دعائمها وتبرّع عليهِ المحسنون بمالٍ وافرٍ واقطعوا رهبانيتهُ الاقطاعات الواسعة ومماً نالهُ من الانعامات ان يزيِّن اربعة اطراف ثوبهِ بزهرة السَّوسن (fleur de lis) وهي شعار ملوك فرنسة. وكان من عادة هؤلاء الفرسان ان يجنبوا ثلاثة افراسٍ مطهَّمة ويصحبهم سلاحدار يحمل رمحهم وترسهم



صورة الفرسان الالمان ولبسهم

وقد بلغت هذه الرهبانية اوج عزّهـا في ايّام رئيسها الكبير هرمان دي سلزا. وكان هذا من مشاهير قومهِ مزداناً بصفات عديدة ومزايا فريدة ذا فضل وفضيلة فكلّفهُ اخوتهُ عِبء الرئاسة سنة ١٢١٠ فنهض بهِ اتمّ النهوض. وقد ذُكرت لهُ مآثر تنبي بما طُبع عليهِ منذ نعومة اظفارهِ من الصلاح والبرّ فبرّز بين اخوتهِ لا يُشقّ لهُ غبار ولا يوطأ لهُ مضمار مع حميّة دينية لم يُسارهِ فيها احد

وعُني بتوسيع نطاق رهبانيتهِ ومن جملة ما اقتناهُ لها من الاملاك سنة ١٢٢٠ قرية المَلية وهو القصر المعروف بقصر الملك ابتاعهُ من الكنت دي هنبرغ اوتون بسبعة آلاف

من الفضة. وكان لهذا القصر مزارع وقرى يبلغ عددها سبعة وثلاثين مكاناً. وفي سنة ١٢٢٨ استملك قصراً خرباً يدعى مُنفور (Monfort) فرمَّمهُ واحلَّ فيهِ رهبانهُ وجعلهُ حصناً منيعاً لا يطمع فيهِ طامع وضع فيهِ سجلات الرهبانية وكنوزها. وهذا الحصن هو الذي يُعرف عند العرب بقلعة "قرين" ذكروهُ مراراً في تواريخهم وكان موقعهُ على جبل بقرب ساحل بحر الروم جنوبي وادي القرن ليس بعيداً من صفد. ومن جملة املاكهم في بلاد البشارة كفرياسين وصفد والبصَّة وغير ذلك. ولمَّا صارت الرئاسة الى هَرْمَن دي سَنْغِرهوزن اتَّسعت املاك الرهبانية في جنوبي لبنان فكان لهم في الشوف جزّين والجُدَيدة وبتيرون وبكاسين وقَيتولة ونيحا والمختارة وكفرنبرخ ودير القمر وكفرفاقود والفريديس وعين زحلتا وبعقلين والدوير واللويزة وديركوشي وقُوتنيه والمُغيثة والكنيسة وغيرها

٣ في اواخر رهبانية الفرسان الالمان

انَّ احوال هذه الدنيا كما لا يخفى دُوَل يوم لك ويوم عليك. ولمَّا كانت سنة ١٢٧١ اسلم الفرسان الالمان حصنهم القُرَين على الامان ورحلوا الى عكَّة. ولحسن الطالع لم يُفقد شيء من سجلاَّتهم الثمينة التي كانت مودعة في القرين وهي اليوم في مكتبة برلين الملكيَّة

وبقي الفرسان الالمان في عكة الى سنة ١٢٩١ فركب قسمٌ منهم البحر الى قبرس فسكنوها مدَّة. اما اكثرهم فأبحروا الى اوربَّة واجتمعوا باخوتهم من الفرسان الذين كانوا توطَّنوا منذ نحو خمسين سنةً بعض جهات المانية الشمالية الَّا انَّهم وجدوا هناك قوماً من قدماء عَبَدة الاصنام البرابرة من اهل الترْوات الذين طالما هجموا على ممالك النصارى فأسروا ونهبوا. فحاربهم الفرسانُ القتال سنين طويلة حتى قهروهم وفتحوا بلادهم واتَّخذوها لهم ملكاً يستغلُّون اراضيها ويستثمرون خيراتها

فلم تلبث هذه البلاد تحت حكم هؤلاء الفرسان ان تجاري بقيَّة الاقاليم الالمانية حضارةً ونضارة فعُنوا بفلاحة الارض وشيَّدوا القرى ومدَّنوا المدن الواسعة في جهات ليثونيه وسوابيَة والكورلند نزهت بعد حين شجرة الدين وبسقت افنان الآداب والعلوم وانجلت غُلَل الاوهام والجهل عن قوائم العقول. وكان الفضل في ذلك كلِّهِ لرهبانية الفرسان الالمان

امّا بقيَّة اخبار هؤلاء الفرسان منذ ذلك العهد الى سنة الغاء رهبانيَّتهم سنة ١٨٠٩ فأمرٌ معروف لا حاجة الى ذكرهِ هنا. وما البقاء الّا للواحد القيُّوم (١

علَّة القرن الاحمر في دود القز

للشاب الاديب سليم افندي اصفر

انَّ هذه العلَّة قديمة العهد في سوريَّة وتعرف فيها بأسماء مختلفة لان منهم من يسمّيها علَّة القرن الابيض وغيرهم علَّة الحرطوق والبعض علَّة سكرديني تعريب المُسكردين (Muscardine). ولم يكن احدٌ في هذه البلاد قبل السنوات الاخيرة ليخاف منها شرًّا بل كانوا يعدّون ظهورها كعلامة الإقبال ويطمرون الدود المُصاب بها في وسط الاطباق. فلمَّا تكرَّر منهم هذا العمل على سنوات كثيرة بظروف واحوال مُساعدة على سرعة انتشار العُدوى جاء من اقوى العوامل على سريان المرض واشتداد فتكهِ في الجبال وفي سهول بيروت لاسيَّما في مواسم السنوات الثلاث الاخيرة وخاصةً في موسم السنة الجارية

وقد بلغ تفشّيهِ مبلغًا عظيمًا فلم تقتصر الخسارة الى نقصان في وزن الشرانق بل قد رأيتُ بعيني اخصاصًا برمَّتها اتلفتها هذه الآفة الخبيثة التي كان مربّو الدود في اوربَّة يحسبونها قبل ظهور المرض الفلفلي او الرعواني اعظم علَّة تصيب المواسم. ولهذا فان بعض الملّاكين في لبنان ليأسهم من استئصال الداء عدلوا عن تربية الدود وتحمَّل عناء ... مؤثرين عليها بيع ورق التوت وكان الواجب على من وصفنا لهم العلاج ان يعمدوا الى استعمالهِ وتجربتهِ بدلًا من ان يتعلَّقوا باذيال اليأس الذي هو مضرّ بصوالحهم وصوالح البلاد

ولعلَّهم متى اطلعوا على طبيعة المرض ووسائل انتشارهِ وسهولة توقيف سيرهِ تنتعش

---

١ راجع الكتب الآتية التي اختصرنا عنها مقالتنا: Rey: *Colonies franques en Syrie*; id., *Monuments de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie*; Conder: *Survey of W. Palestine, Memoirs*; Rhöricht: *ZDPV*, X, 26, ; *Tabulae Ordinis Teutonici*; Darras: *Hist. Eccl.* XXIV et XXVII, etc.

منهم العزائم ويقبلون بعد انقضاء عذر الجهل عنهم على الاجتهاد والعمل لطرد العدو وابعادهِ لا يخفى اننا بفضل المباحث المدققة التي عاناها كل من الاستاذين باسي ولودي (Bassi et Lodi) وتأيدت بالتجارب والامتحانات التي اجراها العالم اودوين (Audouin) الافرنسي صرنا نعرف الآن انَّ علة القرن الاحمر تتأتى عن تولُّد نبات حَلَمي او فُطري في الدودة او في القزّ يسمى بوتريتيس باسيانا (Botrytis Bassiana) نسبةً الى الاستاذ باسي الذي هو اوَّل من اثبت ماهيَّتهُ ووصف اضرارهُ سنة ١٧٣٥ على ان هذا النبات الذي طالما فتك بديدان القزّ ينتمي الى طائفة الهيفوميسيت (Hyphomycètes) التي هي نوع من انواع البيرينوميسيت (Pyrénomycètes) واحدى فصائل الاسكوميسيت (Ascomycètes) (١

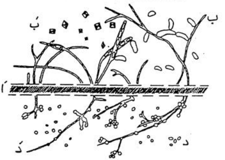
ان دودة القزّ متى أُصيبت بعلة القرن الاحمر تحفظ ظواهر الصحة حتى قبل ان تموت ببضع ساعات. ومتى اوشكت ان تتلف تصير رخوةً ومترهلة اما دمها فيقلّ جدًّا ويصير ذا حموضة غريبة متضمنًا اشكالًا بلُّورية مثمَّنة الزوايا من الحامض البولي (acide urique)

ثم انها تتمدَّد متطاولةً على الجزاز (الجزَّة) دون ان تأتي حركة وبعد مرور عشر ساعات او خمس عشرة ساعة على موتها يصير جسمها جاسيًا سريع الانكسار متينًا بهيئة ما لصق بهِ حتى يتوهَّم من يراهُ انهُ متحجر تحجرًا. ويعلوهُ وتنتشر لون وردي خفيف وبعد مرور اربع وعشرين ساعة تتكوَّن عليهِ من كل جهاتهِ غبرة الى البياض. واذا تمكنت الدودة المصابة من غزل شرنقتها فلا تلبث ان تموت في داخلها بعد ان تنطوي على نفسها (تتكرنش) وتتصلّب وتجسو حتى ترنّ في الشرنقة كأنها حصاة

---

١) اعلم ان الأسكوميسيت هي نباتات فطرية ذات خلايا كبيرة تتضمَّن اربع اربع خلايا أُخرى تعرف عند النباتيين باسم اسكوسبور (Ascospores) وهي تتبرعم وتؤلف خليَّة في كبر الخليَّة الاصليَّة. وهكذا لا تمضي مدَّة طويلة حتى تتولَّد خلايا عديدة لكنَّ اصل هذه النباتات الفطرية عبارة عن خليَّة بسيطة لا نواة لها. ثم ان الخلايا قد تكون منفردةً وقد تكون مجتمعة في غلاف واحد

وامَّا طائفة «الهيفوميسيت» فهي ادنى فئات النوع المعروف بالبيرينوميسيت تذرّ في اصلهِ نفَّاحات صغيرة للتناسل



صورة قُطر المُسكردين (مكبَّر ٥٠٠ مرَّة على اصلهِ)

ا اَ سَمك جلدتهِ – ب بَ الالياف المثمرة والجراثيم الوبائية – د دَ الجذور التي منها تتولَّد الجراثيم

وهذا المرض يصيب الدودة في كلّ اطوارها الَّا انَّهُ يصيبها عادةً في بدء الصومة الرابعة فاذا ظهر فيها قبل الطير فالاحسن ترك تربية الموسم لان الدود التي تتوصَّل الى صنع فيالجها تكون قليلة ولك ان تتأكد حينئذٍ انَّ البيت الذي تربي فيهِ موسمك هو موبوء بما انَّ العلَّة المذكورة لا تتولَّد مطلقًا في امكنة لم يسبق فيها ظهورها

ولقد اخبرني أحد مربّي القزّ في جنوبي لبنان خبرًا يؤيد ما سبق الكلام عليهِ قال انَّهُ شاهد اثناء تربية موسمهِ عام ١٨٩٥ بعض دودات مصابة بمرض القرن الاحمر فعملًا بالوهم السائد في البلاد استبشر خيرًا وتفاءل باقبال عظيم ولذلك حافظ على الدودات المذكورة ولا محافظة البخيل على درهمهِ. امَّا في الموسم الثاني عام ١٨٩٦ فتكاثر عدد الدود المصاب بالمرض المذكور وفي عام ١٨٩٧ زاد كثرة ممَّا ادَّى الى خسارة الحصّ برمّتهِ. ولمَّا كان قد باع الجزاز (الجزَّة) الى صديق لهُ في احدى القرى المجاورة لم يلبث ذلك الصديق ان أُصيب موسمهُ في عامنا هذا بمرض القرن الاحمر

فان قيل كيف وباي وسيلة اتَّصلت العدوى الى بيتهِ اجبنا انهُ كان قد اعطى الجزاز علفًا للبقر التي عندهُ. ثم انهُ عمل من روثها أطباقًا لتربية الدود وهكذا سرت عدوى

المرض الى موسمه. فيتضح اذًا مما تقدَّم انّ القرن الاحمر هو علَّة مُعدية الى حدّ فائق. ولكن لا بُدَّ من الملاحظة ان بعض الدود يقاوم المرض اكثر من سواهُ كما انَّ كَمّية النثّاحات القُطرية وحالة نموّها ودرجة الحرارة والرطوبة في الهواء تحدث فروقًا في النتائج الخاصة

ويتفشَّى الداء بانتشار هذه الجراثيم الفطريّة . وقد وضح ان أُلوفًا من بذورها التي يبلغ قطر الواحدة منها ميليين من الميليمتر تتطاير من خلاياها الاصلية عند ازدهارها وتنتُجها امَّا بطريقة القناة المَعويَّة مع ما تأكلهُ من ورق التوت او من مسامّ الجسم. وبناء عليهِ فانَّ الدودة المصابة بالقرن الاحمر لا يُخشى منها عدوى رفيقاتها الَّا متى ابيضَّت جثتها

وهذا هو السبب الذي يوجب على مربّي دود القزّ ان يبحثوا عن الدود الميت المصاب بالقرن الاحمر ويلاشوها قبل ان يتكامل تولّد الجُنَيْبات الحلَميَّة عليهِ. فانهُ حالما تجد الجراثيم احوالًا موافقةً لنموها تنبت وتُخرج عرقًا فعيد ان يتمدد هذا العرق بين النُّسج ولاسيما النسيج الدهني يُحدث في بعض الاماكن انتفاخات تدريجية. ثم انهُ تتولد عن هذه الانتفاخات عروق أُخرى تُحدث انتفاخات جديدة في كل جسم الدودة ما خلا الغدَّة الحريرية. وبعد موت الدودة باربع وعشرين ساعةً يبرز القُطرُ الى الخارج عروقًا تتكوَّن منها شُجيرات وتُفسح الشجيرات مجالًا الى الجراثيم شبيهةً بالتي كانت بدء المرض. امَّا العروق فتتكوَّن كثيرة جدًا حتى تغطّي جسم الدودة كلهُ وتصير اشبه بجُبزة بيضاء. ويذهب مرتاني (Martagne) الى انَّ الجراثيم تتولد في داخل العروق المثرة وتخرج من خلال الغشاء.

على ان جميع الديدان التي تتولد من الفراش وكثيرًا غيرها من الحشرات هي معرضة كدودة القزّ للاصابة بمرض القرن الاحمر

وبين انتشار الجراثيم وموت الدود عشرة أيام بوجه الاجمال. وعليهِ فاذا كان الدود يطلع الى الشيح قبل هذه المدَّة فانهُ ينسج شرنقتهُ ولكن الشرنقة تكون اخفَّ من وزنها المتاد. والنسبة بين الشرانق المصابة بالقرن الاحمر والشرانق السليمة نسبةُ واحد الى ثلاثة. وعليهِ فاذا كانت ستّمائة شرنقة صحيحة تزن اقّةً بعد طلوعها الى الشيح باثني عشر يومًا فانهُ يلزم لمعادلتها بهذا الوزن من الشرانق المصابة بمرض القرن الاحمر ١٨٠٠

شرنقة مما يساوي ثقل الشرانق الناشفة التي توزن بعد عيد الصليب اعني بعد شهرين او شهرين ونصف لتخنيقها

ومما تجب ملاحظتهُ انَّ الشرانق المصابة بالقرن الاحمر تخرج منها عند التَّسليك بسبب وفرة خفَّتها كمية كثيرة من السواقط ثم ان هذه الجراثيم الفُطْرِيَّة تعدي ايضاً بالتلقيح فتموت الدودة وتتشدَّر بعد ثلاثة او اربعة ايام فقط

وتحفظ جراثيمُ النبات الحَلَمي لمدة ثلاث سنوات في الاقل قوَّةَ التولُّد حتى انها لتنبت وتفرع وتنشر احياناً على اجسام غير آلية مثل السكَّر والصمغ والغراء وما شاكلها

علاج علَّة القرن الاحمر

واعلم ان القرن الاحمر داء عياء لا يقبل الشفاء لكنَّهُ يوجد لحسن الحظ علاج واقٍ منهُ بكل تأكيد وهو التبخير بالحامض الكبريتي الذي من خاصيتهِ ان يقتل جراثيم هذا الداء وفروعهُ. فقبل تربية الدود يُحرَق على مدة ٤٨ ساعة في المحلّ الذي يكون قد بُيّض بالكلس وأُغلق اغلاقاً محكماً على قدر الامكان كيلوغرامان او ثلاثة كيلوغرامات من الكبريت المسحوق مع مئتين الى ثلاثمائة غرام من البَوْرق وذلك لكل مئتي متر مكعّب من الهواء. امَّا اذا كان الدود يُربى في الاخصاص فالواجب اجراء مثل هذا التبخير لآلات القز بعد وضعها في محلّ تكون قد سُدّت نوافذهُ سدًّا حسنًا. على انَّهُ اذا اتخذ المرَبّون بيتاً جديدًا وآلات جديدة فيكون ذلك افضل واحسن. وان لم يتيسَّر فلا بُدَّ من الاجتهاد لحصول على ما يقارب ذلك بواسطة التطهير كما سبق الكلام

فاذا شُوهدت مع ذلك اثناء التربية دودة قد أُصيبت بالقرن الاحمر فيجب ان يُحرق كل يوم اثر الاكلة التي تُعطى للدود ٢٥ الى ٣٠ غراماً من الكبريت المسحوق مع غرامين او ثلاثة من البورق تسهيلاً للالتهاب وذلك في كل مسافة مئة متر مكعب. ولك ان تحرق الكمية المذكورة امَّا في مقلى فخَّاريَّة اعتياديَّة او ان تضعها على قطعة من الآجر وتشعلهُ بخيط من الكبريت. ولكن الافضل من هذا كلهِ ان تصبّ المزيج المذكور على الجمر المتَّقد فتحصل النتيجة طبق المرغوب

ويجب الكفّ عن احراق الكبريت متى بدأ الدود ينزل شرنقتهُ لانَّ الحامض الكبريتي يؤثر في الشرانق فيغيّر جنسية الحرير

على ان استعمال الكبريت على الوجه المتقدّم ذكرهُ يجعل الدود بنجاة من القرن الاحمر كما انهُ يبعد عنهُ مرض الذبول في اكثر الاحيان. فانَّ اتفق ظهور هذا المرض لعلة من العلل فلا يكون عموميًّا بل يقتصر على اصابة قسم قليل من الدود فقط

فيتضح مما سبق انهُ بهذه الوسيلة التي يسهل استعمالها على الجميع يستطيع كل احد ان يربي الدود حتى في الاماكن المعرضة غاية التعرّض لداء القرن الاحمر لانَّ الذين اصابوا نجاحًا في مواسمهم بهذه الواسطة بعد ان كانوا عدلوا عن تربية الدود هم كثيرون. ولا يخفى ان فائدة التبخير بالكبريت قد اصبحت في هذه الايام امرًا محققًا لا ريب فيهِ مطلقًا

امَّا التبخير بالكلور فانهُ يأتي بالفائدة نفسها ولك ايضًا ان تستعمل دخان الحطب الاخضر فانَّ الدود لا يتأذّى مطلقًا من كل هذه الامور

الَّا انَّ هذه العلاجات التي وصفناها لا تغني المربين مما يجب عليهم من العناية بسائر احوال الدود الصحية ومن ثم يتعين عليهم ان ينزعوا الدود المريض وجزازهُ وينقلوا ذلك كلهُ مع تجنب حصول الغبرة الى محلّ بعيد ويعتنوا بتهوية المحلّ وتعجيل سير الدود بإعطائهِ اكلات خفيفة ومتكاثرة .

ولا محلّ للكلام على انتقال مرض القرن الاحمر بالوراثة لان الدودة المصابة به تموت دائمًا قبل انَّ تصير فراشةً. وبناء عليهِ فان جرثومة هذا الداء لا تقوى اصلًا على الدخول في البيضة. وبعبارة اخرى نقول ان القرن الاحمر هو دائمًا مرض عرضيّ ولو كان حلسيًّا كالداء الفلفلي

ومن الضروري جدًّا لمربّي الدود ان يتضافروا ويتكاتفوا على اتخاذ الوسائل الضرورية لصحة مواسمهم. فانَّ تهامُل واحد قد يجرّ العدوى الى مواسم قرية برمّتها فالامر اذًا في اعلى درجة من الاهمية. ومن الضروري الالتجاء الى رجال الحكومة متى كانت المصالح الشخصيّة لا تحمل اصحابها المحافظة على التدابير الصحيّة الضروريّة في مقاومة آفة المواسم

مَن يموت فجأةً ؟

للدكتور فيلب افندي بركات

ذاك سؤالٌ يُلقى على الطبيب مرارًا فيجيب عليهِ مستندًا الى مبادئ علمية وضعها الطب واثبتها الاختبار . وربما فحص الطبيب شخصًا اقبل عليهِ فيحكم بموتهِ فجأةً لاختلال يراهُ في تركيب اعضائهِ او فسادٍ في عُنصرهِ . فالطبيب اذًا عالمٌ بمستقبل الانسان بل هو عليمٌ بماضيهِ وحاضرهِ . ألا ترى انَّ الحكومة تكلّفهُ بتحقيق سبب الموت فتعرض على نظرهِ جثَّة الميّت ليحكم في علَّة مفارقتهِ الحياة . اما معرفتهُ بالعلل الحاضرة فذلك امرٌ مقرَّر لا يختلف فيهِ اثنان . ولم اذكر توطئتي هذه عن كبرٍ او غطرسة لكوني طبيبًا حاشا وكلّا ولا يخفى عليَّ انَّ القرَّاء يطلبون منَّا معاشر الاطبَّاء معارف عظيمة دقيقة تستغرق من العمر اطولهُ ومن العناء والاجتهاد اشدَّهُ واقواهُ . ولذا ألتمس من المطالع المعذرة واراني احقَّ بها من سواي وما كمال العلم الَّا لله فانهُ وحدهُ الموفق الى الصواب

يُطلق في الطبِّ اسم الموت الفجائي على الحوادث التي يأتي فيها الموت بسرعة اي بمدَّة بعض ثوانٍ او ساعات وايضًا بضعة ايام لكن بصورة غير منتظرة فيضرب شخصًا كان معافىً او لم يكن فيهِ انزعاج مهمّ بالصحة او بالحري يضرب شخصًا يظهر لغيرهِ بانهُ متمتع بالعافية

وقبل ان نذكر اسباب الموت الفجائي علينا ان نعلم ان بعض الناس اشدّ تعرّضًا من سواهم اليهِ مثل السكّيرين والمسنّين والحديثين في السنّ

١ الموت الفجائي في السكّيرين والمسنّين والاحداث

انهُ لامر معلوم ان الامراض الحادَّة في السكّيرين تتبع طريقًا خدَّاعًا فان عللًا عظيمة خَطِرَةً اذا اصابت فيهم عضوًا لا تؤثر في سائر الجسم اعني ان المرض يسري فيهم بشكل لطيف الظاهر فلا يطّلع على سوء عقباهُ الطبيب الجاهل . وقد رأينا مرارًا اشخاصًا مصابين بامراضٍ حادَّة ماتوا فجأةً في الطريق بينما هم ذاهبون للشغل او التنزه واليك مثلًا حديث العهد

قضى رجلٌ عمرهُ اربعون سنة سحابةَ يومهِ يشرب المسكر ثم تنازع اخر النهار مع صاحب الحانة فتضاربا فقادهُ الشرط للسجن لانهُ سكران ولمَّا كان الغد وجدوه ميتاً فظنَّت الحكومة أنهُ متأثرٌ من الضرب فامرت بتشريحهِ فتحققت انَّ الذى اماتهُ هو التهاب الرئة الصديدي الناتج عن السكر

وقد ذكر بعض الاطباء حادثةً جرت لاحد رجال الشرطة وُجد ميتاً بعد ان قضى ليلتهُ شربًا وسكرًا مع رفاق لهُ . وكان يزعم ان ملازمة الخمر تخفّف عنهُ وجعاً فيهِ وعند تشريح الجثة وجد الطبيب فيها التهاباً في الكبد وصِفاق البطن سببهُ الافراط في الشرب

ويموت اكثر المسنّين فجأةً لأن اعراض الامراض الحادّة فيهم كأعراضها غير المؤلمة في السكيرين . والعلأت التي تكون في غيرهم ثقيلة قوية تراها فيهم خفيفةً ضعيفة . مثلاً اذا اصابهم التهاب في الرئة لا يشعرون كغيرهم بنخس شديد في الخاصرة ولا بعُسر تنفّس كبير ولا بسُعال متواصل كما نشاهد ذلك في الشبأن . واعلم ان المسنّين لا يقوون على مقاومة الأمراض مثل الشبأن لسبب تقدّمهم في السنّ وضعف اعضائهم فيموتون من التهاب رئةٍ او التهاب دماغ او من اختلال في الدورة الدمويّة . وكثيرًا ما حدث الموت الفجائي في المسنّين عند بنائهم على اهلهم . وقد وُجد في حوادث كثيرة موتى في بيوت الخلاعة عند المومسات . وكانت الحكومة تظنُّ بوقوع جريمة قتل فتضطرّ الى ان تأمر بتشريحهم فلم يجد المشرّحون سبباً لموتهم غير التقدّم في السنّ الذي يورث الضعف في اعضاء الحياة الرئيسيّة . وقد احصى احد الاطباء ٣٥ حادثة كان فيها الموت فجائيًا في اشخاص اربى عمرهم على الستين سنة

امَّا الموت الفجائي في الحديثين بالسنّ فانهُ ناتج عن آخر درجة مرضٍ سرى في جسمهِ بنظام لكنهُ لم يُعرَف لأنَّ امراض الصغار يصعب تشخيصها لسببين الأوّل عدم اعتناء بعض الوالدين باولادهم والثاني لانَّ الطبيب لا يفهم غالبًا من الصغار الَّا الصراخ فيموتون فجأةً بعد التهاب رئة او نزلةٍ صدريّة خانقة وهي امراض شائعة في الاطفال تصبح ثقيلة باوجز الاوقات . ويحدث فيهم الموت بغتةً اذا استفرغوا موادَّ من المجاري الهوائية وربما كان سبب الموت الفجائي فيهم تشنج المزمار لكنهُ لا يقتل غالبًا من اوّل نوبة بل بعد نوبات تصيبهم دون ان يُنتبَه اليها وكم من مرّةٍ مات الطفل نائمًا في سريرهِ مع والدتهِ او مرضعتهِ اذا انقلبت عليهِ وخنقتهُ خنقًا

٢ اسباب الموت الفجائي

اسبابهُ متعدّدة نذكر اهمّها ونسردهُ بترتيب ليسهل على الذاكرة حفظها:

١ الاسباب الناتجة عن الجهاز التنفسي الدموي

١° (انسداد المجاري الهوائية). يحصل هذا الانسداد عن لقمة طعام دخلت في الحنجرة او في قصبة الرئة او وقفت في المري، وضغطت بسبب كبرها على قصبة الرئة. وقد شاهدنا حوادث عديدة مثل هذه. وعانيًا مؤخرًا ولدًا ميتًا عمرهُ ثلاث سنوات كان فمهُ وحلقومهُ مملوئين بقطع خبز غير تامّة المضغ — ويدخل الطعام ايضًا في المجاري الهوائية بعد الاستفراغ فيحدث الموت بالاختناق فجأةً

٢° (احتقان الرئة). نرى في التعديلات ورود هذا السبب اكثر من غيره بيد انهُ لا يظهر الاحتقان المذكور بنوع جليّ ليعلَّل هو وحده الموت السريع ما لم يكن في الرئة تدرُّن او في القلب مرضٌ او جاء الاحتقان بعد سبب قوي يوسم التشخيص

٣° (النزيف الدموي الرئوي). ربّما كانت اسباب الاحتقان هي ذات اسباب النزيف وعلينا ان نذكر خصوصًا النزيف الدموي الذي يحصل في الادوار الاولى من التدرن الذي يكون بعض الاحيان غزيرًا فيسبب الموت فجأةً

٤° (انفلات جلطة الشريان الرئوي). يظهر هذا الانفلات غالبًا بعد التهاب او تمدّد اوردة الاطراف السفلى او اوردة بيت الرحم. فالجلطة المتكوّنة في تلك الاوردة تنقلب من نفسها بعد حركة عنيفة. وقد شاهدت وانا تلميذ في بيروت فتاةً ميتة من انفلات جلطة دمويّة مصدرها من اوردة الحوض الصغير

٥° (النزلة الصدريّة الخانقة). هي عبارة عن تكوين كمية كبيرة من المخاط السائل المزبد يملأ المجاري الهوائية ويُحدث الموت فجأةً في الاطفال خصوصًا وبعض الاحيان في المسنّين

٦° (انقطاع الحجاب الحاجز). ينقطع الحجاب المذكور بعد حركة عنيفة جدًّا ويحدث الموت الفجائي بسرعة كلّية لانّ بعض اعضاء البطن تدخل بشدّة في القفص الصدري وتسبب الاختناق العاجل

٧° (التشيان). يُحدث الموت الفجائي بالتشيان مرارًا على انّي لا اظنّ انهُ يطرأ على

شخص كامل الصحة بل يحلُّ في الاشخاص المصابين بحالة مَرَضية سابقة وخصوصاً بعلة في الجهاز الدموي . واعلم ان امراض القلب والأقنية الدمويَّة الكبيرة كثيرًا ما تسبب موتًا فجائيًا سريعًا جدًا يحدث عادةً بعد حركة عنيفة او انفعال نفساني عظيم . وانَّا نذكر بين العلل المذكورة أنورسما الاورط وتصلب جدران الاقنية وحؤول القلب الدهني والتهاب بطانة القلب والتحامها به — وقد شرَّح طبيب جثة امرأة عمرها ٥٠ سنة ماتت فجأة في الليل بعد مشاجرة مع زوجها فظنَّ الجيران انها اختنقت لانهم سمعوها تصرخ « آه اختنقتُ وخنقتني » والحال لم يكن على الجثة آثار قهرية بل وجد بالتشريح التحام كامل بين ورقتيْ غلاف القلب وقد عُلم ايضًا ان المرأة المذكورة كانت تصاب بنوبات عسر تنفُّس والمشاجرة كانت القاضية في تعجيل الموت الفجائي

٨ (عدم كفاءة الاورط) . هو سبب متواتر للموت الفجائي وكذلك علل الصّمامات القلبية

٩ (انقطاع أنورسما الاورط) . يسبّب الموت الفجائي لكن تشخيص هذا المرض وقت الحياة من الامور النادرة

٢ الاسباب الناتجة عن الجهاز العصبي

١ (الفقر الدموي الدماغي) . هو من اسباب الموت الفجائي فان اصفرار الدماغ وعدم وجود دم بين الأقنية الصغيرة ووجود كمية كبيرة مَصلية منهُ في البُطَينات هي حوادث ذكرها الاطباء مرارًا . ولا يُستغرَب ابدًا حدوث الموت الفجائي من فقر دموي دماغي بعد انفعال نفساني . واليك حادثة نشرها احد الاطباء الايطاليين : تشاجر اخٌ مع اخيهِ الاكبر فضربهُ على صدرهِ وقد ضغط الاثنان على صدريهما الى ان فرّقهما بعض الاصحاب . فابتدأ الصغير يسعل ثم وقع على الارض وتقيأ ومات . ولم يوجد فيهِ آثار قهرية خارجية مطلقًا وانَّما شاهد الطبيب تصلُّبًا قويًا في اغشية الدماغ وفقرًا دمويًا دماغيًا واضحًا جدًا . وقد نسب الطبيب سبب الموت الى ذاك الفقر الدموي الذي لم يحصل من الضرب لكن من الغضب المستحوذ على المقتول وقد ظهرت علاماتهُ على قول الحاضرين باصفرار فجائي عظيم لاح في وجههِ

٢ (اختلال الدورة الدماغية الدمويَّة) . واسبابها استحالة جلطية وتصلُّب في الاوعية الدمويَّة يحدث منها الموت فجأة دون ان تسبقهُ اعراض تنبئ بهِ

٣ (الاحتقان الدماغي) . يذكر بين الاسباب المتواترة التي عنها ينتج الموت الفجائي مثل داء النقطة والامراض التشنجيَّة والاحتقانات التي تحدث بعض الاحيان في بدء الفالج العمومي ولو لم يسبقهُ علة اخرى

٤ (النزيف الدموي الدماغي) . يسهل على الطبيب معرفة سبب هذا الصنف من الميتات الفجائية بواسطة التشريح وبيان حالته واضح اعني ان الموت فيهِ دائمًا طبيعيٌّ . واليك مثلًا مهمًّا عن ذلك ذكرهُ احد الاطباء الشرعيين . كانت ابنة عاهرة عمرها ٢٢ سنة تصاب من زمن مديد بوجع رأس ونوبات عُسر تنفُّس واستفراغ وقد تركت معشوقها مدَّة يومَين ثم عادت اليهِ وزاد المرض فيها . فدخلت المستشفى وهي مع ذلك مصرَّة على كتمان سرّها غير انَّهُ كان يصيبها نعاس خفيف يمكّنها من الجواب على اسئلتنا ولم يكن فيها فالج نصفي او عمومي . فلمَّا توفيت ظُنَّ انها ماتت من رضَّة دماغية لكن التشريح اعلن تصلبًا في الكليتين وتجمعًا دمويًّا في نصف الدماغ الايمن وتريفًا غزيرًا حدث منذ ٦ او ٨ أيام على الاقلّ قبل الموت

٥ (النزيف الدموي في الاغشية الدماغية) . يحدث في آخر درجة التهاب اغشية الدماغ وهو كثير في السكيرين فيموتون فجأة من ذاك السبب . ويحدث النزيف الدموي بعد وقعة او ضربة على الرأس وبعد تهيُّج نفساني عظيم . واعلم ان السكير اذا غضب غضبًا شديدًا ربَّما عجَّل او سهَّل حدوث النزيف الدموي الدماغيّ ومات فجأةً بسببهِ

٦ (اورام الدماغ وخُراجاتهُ) . انَّ الاورام والخراجات المذكورة لا تُبقي في الجسم غالبًا الَّا اختلالًا ضعيفًا وتدع ظاهرهُ سليمًا وهي تقتل مع ذلك فجأةً

٧ (التهاب الاغشية الدماغية) . لا يجب ان تستغرب ذكر التهاب الأغشية الدماغية بين اسباب الموت الفجائي . واليك مثلًا نشرهُ الاستاذ بواردل الشهير . ان امرأة عمرها ٣٠ سنة اصطحبت رجلًا في نصف الليل وذهبت معهُ لتستأجر بيتًا وصباح الغد ذهب الرجل وبعد ظهر اليوم نفسهِ وجد خادم النزل تلك المرأة نائمة على فراشها لا حراك بها فجاء البوليس مع طبيب وقرَّر ان المرأة مسمومةٌ بدواء مخدّر وشاهد ايضًا رضَّات على احد ذراعيها . فحُملت الى المستشفى حيث ماتت بعد ٣٦ ساعة دون ان تعي ابدًا وقد كلَّفونا تشريحها فوجدنا التهابًا دماغيًّا مع كمية كبيرة من الصديد دون تدرُّن امَّا الرضَّات التي وُجدت على الذراع فكانت عرضيَّة

٨ (الضربات على الرأس) . تجاب بعض الاحيان موتاً سريعاً فجائياً غير أنهُ يمكن احتمالها دون ازعاج مدة ايام او اسابيع كثيرة . وامثال ذلك غير نادرة فاننا قد شاهدناها مراراً وتحققناها بذاتنا فمن ذلك ان ولداً عمرهُ ١٢ سنة وقع فاصابهُ جرح في رأسهِ وضُمد جرحهُ بقطعة مشمَّع وبقي الولد يلازم المدرسة مدَّة ١٦ يوماً بيد أنهُ كان يتشكي من وجع رأس مؤلم . ثم مات باثر ذلك فوجدنا بالتشريح تحت جلد الرأس من جهة الاذن اليسرى كسراً في الجمجمة عمقهُ سنتيمتر ونصف وقشرة الدماغ هناك مصابة قليلاً . اما الدماغ فكان مصاباً بالتهاب صديدي — وقد اطلعنا على حادث آخر وهو ان راعياً قويَّ البنية ضُرب بحديدة بين عينيهِ وبعد الخصام عاد الى شغلهِ وبقي فيهِ طول النهار . فبينا كان صباح الغد يسوق ثيرانهُ الى مكان اذ وقع فجأةً ومات بعد دقائق قليلة . وفي تشريحهِ وجد التهاب دماغي صديدي — وهذه حادثة ثالثة حديثة . ضُرب شاب بسكّين فوق اذنهِ اليسرى فنظرهُ طبيب وقرَّر ان الجرح يمنعهُ عن الشغل مدَّة عشرة أيام ولكن ما مضى عليهِ خمسة ايام حتى دخل المستشفى وغاب عن رشدهِ . واصابهُ نصف فالج يميني ومات بعد ثلاثة ايام من جرَّاء التهاب دماغي وربَّما حدث الالتهاب المذكور متأخراً . وكم من مرَّةٍ بقيت اجسام غريبة كالرصاص وغيرهِ في الدماغ مدة اشهرٍ وسنين دون ازعاج المصاب بها ولكنهُ ما لبث ان حصل منها بعد مدَّة موت فجائي سببهُ التهاب الدماغ

٣ الاسباب الناتجة عن امراض الجهاز الهضمي

١ (قرحة المعدة) . ربَّما أحدثت استفراغاً دموياً مميتاً او التهاب الصفاق دون ان يسبقها اعراض اختلال حتى فيبقى المرض غامضاً ولا يظهر الَّا بالموت وقد جمع احد الاطباء عشرين حادثة من هذا النوع

٢ (ثقب الامعاء) . يحدث ذلك في بعض الاحيان مع وجود الحمَّى التيفوسية او بعد الشفاء منها . ولذلك يحذّر الاطباء المصابين بالحمَّى المذكورة من اكل الطعام اليابس الضخم مخافة هذه العقبى الوخيمة اعني الموت فجأة بسبب ثقب الامعاء .

٣ (امراض الكليتين) . ان التهاب الكليتين يجلب نادراً موتاً فجائياً . وربَّما بقيت في بعض اشكال هذا الالتهاب الاعراض خفيفة بالظاهر ثم تقوى فجأة وتقتل بسرعة . ويمكن نسبة هذه العوارض الى مرض جديد يختلط بالمرض الاصلي مثل نزيف دموي دماغي سببهُ التسمم بالبول او بالكحول او بالسكر ولتحقيق اسباب الموت المذكور لا بدَّ

من فحص البول كيماويًا ليرى الطبيب أيوجد فيه مادة زلالية او سكرية

٤ (التسمم باوكسيد الكربون) . هو سبب متواتر للموت الفجائي خصوصًا في بلادنا ايام الشتاء. لان عادة بعض الاهالي وضع موقد النار في المخدع والنوم في ذلك المكان. والتسمم المذكور يحصل عادةً في الليل والمصاب لا يفيق من نومه فيُشاهَد عند الصباح ميتًا في فراشه. وربما استفاق من نومه مذعورًا قلقًا ولا يتمكن من طلب الاستغاثة او فتح الباب فيسقط ميتًا. ويمكن حصول الموت فجأة بالغاز المذكور دون ان يوجد في المخدع موقد للنار مثلًا اذا رجعت حاصلات الاحتراق فنفذت الى الحجرة آتية من مخادع مجاورة او تخرج الغازات من ثقب او شق صغير غير محكم السد موجود مثلًا في قسطل الدخان على جدران المخدع. وقد شاهد بعض الاطباء حادثًا غريبًا من هذا الشكل وهو انهُ وجد ذات يوم رجلًا ميتًا في مخدعهِ وتحقق انهُ مسمم باوكسيد الكربون لانَّ شباك مخدعهِ كان قريبًا جدًا من طرف جمة قساطل مفتوحة. والغازات التي كانت تخرج منها امتدت في مخدعه الصغير داخلًا من شباكه المفتوح وحين رجوع الرجل المذكور مساء أقفل شباكه قبل نومه وبقيت فيه الغازات المسمة فمات

وكم من مرة سمعنا بموت بعض الفقراء الذين ناموا فوق افران الكلس ايام الشتاء قصد التدفئة فتسمموا باوكسيد الكربون والتسمم به يحصل في مخدع ليس لهُ منافذ مثلًا حين ينكسر قسطل في الطريق فكثيرًا ما يمر الغاز في الارض خصوصًا في الشتاء على مسافة طويلة ثم يتبدد في المخادع المبنية في الطوابق السفلى ومتى تشربت الارض الغاز المذكور تفقده رائحته الخصوصية. وهذا يحدث غالبًا حين يبقى الجليد على الارض اذ لا يتمكن الغاز من الطيران رأسًا من الطريق. والحرارة المرتفعة في محلات السكن تسهل لهُ الدخول فيها — اما العلامات التي تحقق الموت الفجائي بواسطة اوكسيد الكربون فيعرفها الطبيب من فحص الدم بالكواشف الكيمية وباستعمال الجهر الطيفي فلا حاجة لتبيانها هنا

الخاتمة

ذكرت اسبابًا كثيرًا للموت الفجائي ولكن ربَّ ظروف يحصل فيها ذلك الموت ولا يرى لهُ الطبيب شرحًا ولا سببًا ولو فحص فحصًا مدققًا كل اعضاء الميت لانَّ جمة سموم نباتية تقتل دون ان يبقى لفعلها من اثر في الاعضاء فيُضطر الطبيب الى ان يقرَّ بعجزهِ. وما كمال العلم الَّا لله وهو وحدهُ الحيّ الذي لا يموت

زينب (الزبَّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رنزفال اليسوعي

(تابع لما قبل)

١٥

اذا ما اعتمدنا على ما تقدَّم من كلام القديس اثناسيوس وعوَّلنا على الادلَّة التاريخيَّة المشفوعة بهِ فسلَّمنا ان زينب كانت على الاقلّ مستعدَّةً للتديُّن بدين اليهود تُرى أيجوز القول بأنَّها تهوَّدت حقيقةً ومارست فرائض هذه الديانة ما دامت على عرش التدمريين ؟ نجيب كلَّا فان الاكتشافات الحديثة تدحض هذا الزعم وتبطلهُ. كيف لا وترى في تدمر حتى في أيامنا هذه عمودًا من اعمدة الرواق الاكبر مكتوبًا عليهِ باليونانية والتدمرية ان القائدين زبدا وزباي قد نصبا في ذلك المكان تمثالًا لملكتهما الجليلة كما فعلا لزوجها أذينة الثاني (١ ومن المقرَّر ان ديانة اليهود تحرّم مثل هذه العادة. فكفى بذلك برهانًا على انَّ ملكة تدمر لم تتمذهب بمذهب اليهود كما أنَّها لم تنتسب الى شيع النصارى المتهوّدين (chrétiens judaïsants) (٢. وممَّا يؤيّد صحة رأينا ان زينب التي ما برحت تفتخر بنسبتها الى اشهر ملكات المشرق لم تكن لو تديَّنت بدين اليهود لتُهمِل الانتساب الى باني تدمر سليمان الملك. وكان ذكر سليمان لم يبرح بعدُ شائعًا بين التدمريين والعرب والآراميين واليهود القاطنين بعاصمتها او المتجوّلين في بادية الشأم

ولسائل ان يسأل فايَّ ديانة اذًا اعتنقت سلطانة تدمر وايَّ ملَّة انتحلت. نقول على وجه الاجمال انَّ في الامر غموضًا. وللمؤرّخين في ذلك آراء مختلفة مرجعها الى رأيين فان البعض يفتون بنصرانية زينب والبعض الآخرون وهم الأكثرون يزعمون انها كانت من جملة الذين يعتقدون وجود الله تعالى مع انكارهم للوحي. وهو مذهب التوحيد (déisme). امَّا نحن فنرجّح رأي الاوَّلين لانهُ اقرب الى الصواب ولنا في المسألة بعض

---

١) V., n° 29 ٢) وهذا رأي المورخين تاودوريتوس، ونيقيفور . . (Niceph ., *Hist.* VI, 47 ;Theodoret: *Hist.* II)

الشواهد التاريخية نسردها لمزيد الايضاح. الّا أنّا لا نظنّ ان زينب صارت مسيحية محضة قبل خراب حاضرتها وجلائها عن الاوطان. فنقول:

ان الكتابات التدمرية التي قرأها المركيز دي ڤوكويه كثيرًا ما تُنتَح ببعض الفِقَر الدينية لاسيما ما ينتمي منها الى القرن الثاني (١ وهي تشبه صورة الصلوات المسيحية شبهًا عجيبًا مثالها: تقدّم هذا الذبح او هذا القبر «لمن اسمهُ مبارك الى الابد الرؤوف الرحوم». قال العلّامة المومأ اليه: كأني بهذه الكلمات تذكر الصلاة النصرانية المعروفة: «ليكن اسم الربّ مباركًا منذ الآن الى الابد». ولا ننكر ان بعض هذه الابتهالات قد كتبتها يد الوثنيين او اليهود الّا انّ ذلك لا ينفي كون بعضها من صنع المسيحيين ايضًا (٢

ثم اذا اعتبرتَ انّ في جملة من الكتابات التي ادرجها المركيز المذكور في مجموعهِ صورة اوّل حرف اسم المسيح باليونانية (X) فلا تشكّ انّ المسيحيين كانوا دخلوا تدمر منذ بلجت على العالم شمس النصرانية (٣

هذا ولنا برهان آخر مقنع في انتشار الدين المسيحي في تدمر منذ قرون النصرانية

---

١) راجع V. : n^os 75, 76, 78 سنة ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٥ ومرجع عبادة التدمريين الوثنيين الى الهين اي بَل (او بَعْل) ويرِجبول ويقال لهما «مَلَكْبَل وعَجلبُول» يريدون بها الشمس والقمر فيعبدونها كالهين ذكر وانثى. ومن المعلوم انّ هيكل تدمر الاعظم شُيِّد لعبادة الشمس (راجع V. : n^os 93, 128). وهذا موضوع واسع يصدُّنا ضيق المكان عن الاسترسال فيه

٢) ولا يبطل حجّتنا ما قالهُ المستشرق الشهير كِرمون غانو (في المجلّد الاوّل من مجموعه العاديات الشرقية) «بانّ مثل هذه العبارات وثنيّةٌ زاعمًا بان الوثنيين قديمًا لم يذكروا في كتاباتهم اسماء آلهتهم ليكتموا عن الامم الاجانب ما يألّهونهُ من معبوداتهم من النجم او غيرهِ منها» لانّ العبارات الوثنيّة في الغالب لا تخلو ممّا يُشعر بعبادة الاصنام بخلاف العبارات التي ذكرناها وهي منزّهة عن ذلك ومعانيها سامية

٣) قد حاول المسيو شرودر ان يبرهن ان مدلول هذا الحرف غير ما قلنا وهو يستند على كتابة تدمرية تاريخها السنة التاسعة للمسيح ورد فيها كمثل هذه العلامة. بيد ان بين الكتابتين بونًا. لان الحجارة التي اكتشفها دي ڤوكويه قد حُفِرت عليها صورة هذا الحرف مرتين وفي موضع غير موضع الكتابة التي ذكرها المسيو شرودر في مقالتهِ (Sitzunb. d. Preus. Akad. d. Wiss. 1884, p. 21). وعلاوة على ذلك انّ العلماء يسلّمون بان المسيحيين قد اتخذوا للدلالة على شعائر دينهم بعض اشارات وعلامات كان سبقهم اليها الوثنيّون فاستعملوها في معنى آخر. فلا نظن اذًا انّ حجّة المسيو شرودر كافية لدحض رأي المركيز دي ڤوكويه

الاولى نأخذهُ مما سبق لنا عن تجارة هذه المدينة وسعة معاملاتها مع بقية حواضر الشرق فنقول: انَّ تدمر كانت مجازًا لكل القوافل في ذهابها وايابها ونقطة مركزيَّة بين مدن الفرات والاردن وآسية الصغرى. والحال انَّ النصرانية كانت اشرقت على أكثر هذه المدن حتى اقصاها وابعدها منذ مطلع الدين النصراني. فكم بالاحرى يتحتَّم القول انها انارت اهل تدمر باشعَّتها الساطعة

فقولنا انَّ تدمر كانت مركزًا لكل قوافل الشرق لا حاجة لبيانه اذ يتَّضح صدقهُ لدى القارئ من مجرَّد النظر الى خارطتنا (الواردة في الصفحة ٤٩٥)

امَّا قولنا انَّ النصرانية كانت نفذت في كثير من مدن المشرق فهو امر واقعيٌّ لا يستطيع انكارهُ الَّا مُكابر ومحقٌّ مُدبر. فان تصفَّحنا اوَّل تاريخ النصرانية المدوَّن في كتاب اعمال الرُّسل نجد هذا الدين منتشرًا منذ نشأتهِ في كل انحاء فلسطين (۱ وساحل بحر الروم (۲ وفي انطاكية الكبرى حيث دُعي النصارى باسم المسيحيين (۳ ولم يزل فيها ناميًا حتى كان عدد النصارى ينيف في ايَّام تنصُّر قسطنطين الملك على مئة الف (٤. وكذا قل عن دمشق الشام وذلك بعد صعود المسيح بسنين قليلة (٥. واذا اعتبرنا مدينة الرها مع بُعدها عن مهد النصرانية في اورشليم وجدنا اهلها مذعنين لسُنن المسيح منذ القرن الاوَّل وذلك مما اقرَّ بهِ العلماء فضلًا عمَّا جاء في التقليد. قال العلامة دوفال في مقدمة كتابهِ في نحو اللغة السريانية: «ان مدينة الرها كان الله قد حباها من العمران والتقدُّم ما جعلها مستعدَّة احسن استعداد لقبول الديانة الجديدة اي النصرانية فدانت لها هي وملوكها منذ القرن الاول وهذا من اثبت التقاليد (٦ ». وعلى كلّ حال فانَّ النصرانية انتشرت في

---

۱) راجع كتاب الاعمال ۸: ۱، ٥–١٤، ٤٠ و ۹: ۳۱

۲) اعمال الرسل ۸: ٤٠ و ۱۱: ۱۹ الخ   ۳) اعمال ۱۱: ۲۲–۲٦

٤) راجع دي فوكويه Syrie Centrale, p. 14   ٥) راجع الفصل التاسع من سفر الاعمال

٦) Gram. Syriaq. 1881, p. VI — هذا واننا نعلم ان الكاتب نفسهُ ارتأى خلاف هذا الرأي في تاريخ مدينة الرها (J. A. 1891²) الَّا ان حججهُ غير مقنعة تنقض قول سواد المؤرخين الأقدمين. ولا يظننَّ القارئ انَّ مستندنا في زعمنا هذا الى قصَّة الملك الابجر ورسائلهِ الى المسيح التي شاع امرها في المشرق. فانَّ لدينا غير ذلك من الادلة بها قيل من صدق هذه الرواية او كذبها. وكذلك اننا نضرب صفحًا عن تعيين عدد النصارى في مدينة الرها أكان في القرن الاول للمسيح وافرًا او قليلًا

القرن الثاني في الرها انتشارًا عظيمًا كما اثبت ذلك العلّامة ساخو (١ في معرض كلامه على اقدم كتابة وُجدت في الرُّها. وقد وافقهُ على قوله الكاتب الشهير رينان الذي يعلم قرّاؤنا ما كان يضمرهُ في قلبه من الحزازة والضغن للديانة المسيحية فقال: «انّ ملوك الرُّها قد جاهروا بمعتقد النصارى ودانوا لهُ رسميًّا قبل ختام القرن الثاني (٢» . امّا انتشار النصرانية في آسية الصغرى منذ بدء النصرانية فهو مقرّر في كتاب الاعمال حيث يصف صاحبهُ اسفار القديس بولس وتبشيرهُ في عامّة تلك البلاد (٣ ...

فان كان نفوذ النصرانية وعلوّ شأنها ممّا لا يُنكر في كل الانحاء السابق ذكرها فانّهُ لمن المستحيل ان لا تكون تدمر نالت من خيرات الدين النصراني نصيبًا طيّبًا منذ بزوغ انوار هذا الدين وذلك كما قلنا لاجل موقعها كمركز اوّل لجميع القوافل . فكيف يرضى العقل بانّ اقاصي بلاد الشرق حظيت بالم تحظَ بهِ تدمر وانّها لم تستقِ من ينابيع النصرانية العذبة التي أروت تلك البلاد الشاسعة لاسيا بعد خراب اورشليم (سنة ٧٠ ب م) اذ تفرّقت نصارى فلسطين في كلّ المدن . وعلى ذلك قول المسيو غوليوم في مجلة العالمين «انّ النصرانية نفذت مدينة تدمر باعظم سهولة حتى انّهُ يصعب تعيين الزمن الذي جرى فيه هذا الامر» (٤

وهذا البرهان يزيد قوّةً اذا اعتبرنا القرن الثاني للمسيح لمّا زادت النصرانية امتدادًا ونفوذًا وكانت وقتئذٍ تدمر اخذت ترتقي في معارج الفلاح فتستلفت اليها الابصار. كيف لا وكان يمكن النصارى ان يعيشوا في تلك المدينة بمعزل عن الاضطهادات التي لحقت بهم في غيرها من البلاد يقضون فروض ديانتهم بكلّ حرّية ودون نزاع. فلا غرو اذًا ان يكونوا توارد والى تدمر ونما فيها عددهم

---

١) راجع *Edessenische Inschrift.* Z D M G, 1882, p. 152

٢) راجع الجريدة الاسيويَّة J. A., 1883[1], p. 251 وريكندورف ZDMG, 1888, p. 409

٣) راجع ايضًا p. 155 ,1895 ,*Revue Biblique* : Battifol و : P. de Smedt *Revue des Quest. Hist.* 1891, p. 406 . وقد تشهد التواريخ القديمة والجامع والكتابات المكتشفة جديدًا مثل كتابة القديس أبِركيوس على امتداد النصرانيَّة في القرون الاولى في جميع بلاد آسية الصغرى (راجع ايضًا p. 70 1897 و (P. Allard : *Le Christ. et l'Empire romain,* و V. n° 74

٤) Revue des deux Mondes, 15 Juil. 1896, p. 386

امَّا في القرن الثالث فكان منار الدين النصرانيّ عاليًا في تدمر وانتشرت اضواؤُه بنوعٍ عجيب ألا صار الامر الى غاليانوس قيصر وامر على رأس الملإ ان يُترك النصارى وشأنهم في اقاليم مملكته. فشرعت من ثمَّ كنائس المشرق تنمي وتفلح وتظهر في وجه الشمس (١

ولمَّا اخذ أُذينة الثاني بعنان المُلك وباشر باستنقاذ دولة الرومان من ايدي اعدائهم كانت الاضطهادات قد انتهت في بلاد الشام ولم يبلبل هذه السلامة الَّا بعض تصرُّفات سيِّئة نحو النصارى ذكرناها في موضعها (ص: ١٨٨ الخ). قال المسيو ألارد مؤرِّخ الاضطهادات الشهير (٢: «انَّ الشعوب الذعنة لسلطة زينب لم تزل في بحابح السلام والنجاح بينا كانت دماء المسيحيين مُهراقة في رومة وجوارها». فوفر عددهم في تدمر على عهد ملكتهم العزيزة

وبناء على كلّ ما تقدّم نقول ان سلطانة تدمر التي قد استعصت مطالعة الا الكريّة وارتاحت الى النظر بالشريعة الموسويَّة لم تكن لتنظر الى شريعة ا منها دون ان تعمل في نفسها تعاليها السامية فتفضّل هذه على تلك. فان عقلها لم يكن اقلّ طمعًا في معرفة الحقّ من قلبها في مُلك العالَم كلّه. الَّا انَّ الاحوال حالت موتنًا دون وصولها الى ذلك العلم الخطير فاغترَّت بمذهب رجُل ذي مُداجاة غواها واضلّها عن سواء السبيل. واليك تفصيل ذلك على وجه الاختصار

١٦

كان في بلاط زينب رجلٌ سميساطيّ الاصل (٣ فاق بشهرته وبُعد صيته سائر العلماء الذين قرَّبتهم عندها زُلفى اسمهُ بولس. وكان هذا عالمًا نحريرًا ثاقب العقل يباري الملكة معرفةً وعلمًا وعظمةً وطَوْلًا في ماله. فلمَّا توسَّم القوم فيه صفاتٍ حميدة وخصالًا فريدة نادوا به بطريركًا على كرسي انطاكية سنة ٢٦٠ ايَّام كان متوليًا على المشرق أُذينة مع زوجته. وكان الناس قاطبةً بين نصارى وعبَدة اوثان يعظِّمون هذا الاسقف ويحسبونهُ رجلًا

١) راجع Allard : *Hist. des Persécut.* III, p., 179

٢) راجع الكتاب المذكور (p., 205)

٣) راجع اوسابيوس تاريخ الكنيسة الكتاب السابع عدد ٢٬٣٠ – كان البطرك السادس عشر على انطاكية

جريء المُقدَم ذا عزمٍ ودهاء ويتهيَّبون سطوتهُ وبأسهُ. امَّا بولس فما عتَّم ان ظهرت اسرار قلبهِ المكنونة فاشهر مقاصدهُ وجاهر برغائبهِ السيئة فافرغ كنانة جهدهِ ولم يأنف ان يتَّخذ السلطة المقدَّسة التي خُوّلها كوسيلة لتحقيق آمالهِ وتنفيذ مطامعهِ فجعل يُنفق هذه الاموال التي كسبها بالنفاق والتعدّيات في لبس ثيابٍ فاخرة ذات اثمانٍ فاحشة. فكنت تراهُ يتزيَّن بالحُلي والطرائف شأن الملوك او بالحري شأن ربَّاتِ الحجال ويحذو حذو العالميّين قولًا وفعلًا حتى صار عثرةً للنصارى ولعبدة الاوثان انفسهم. قيل انَّهُ امر الناس في كنيستهِ ان يصفّقوا لهُ استحسانًا كما يصفَّق للممثّلين في المراسح. وكان خطابهُ ابدًا ثناءً على نفسهِ او تنديدًا بآباء الكنيسة الاقدمين ولم يقف عند هذا الحدّ من السفاهة بل اتى يوم عيد الفصح بنساءٍ فرتَّلنَ في بيعة الله التراتيل العالميَّة وانشدنَ الاناشيد بمدحهِ ويعظّمنهُ

وقد بلغت هذه القبائح الى اقصى غايتها لمَّا استفزَّ الشيطان قلب بولس السميساطي وسوَّل لهُ ان يتَّخذ في خدمتهِ فتاةً من اهل الريبة اسكنها في دارهِ ولعلَّهُ استند في ذلك الى بعض الحجج الواهنة التي من شأنها التمويه على الجمهور (١. وبعد حين ادَّت بهِ قِحَتُهُ الى ان يستصحب ابنتين في عنفوان الشباب كانتا تصحبانهِ حيثما ذهب (٢

فهذا الذنب الخاطف الذي دخل الحظيرة جعل على مثالهِ الاكليريكيين الذين تحت سلطتهِ فاقتصُّوا مثالهُ وتخلَّقوا باخلاقهِ وافسدوا الخراف التي وُكل امرُها اليهم. وما كنَّا لنصدّق خبر هذه الفظائع لو لم يثبتها مجمع انطاكية في رسالتهِ. وربَّما سمح فادي العلم ان تدخل مثل هذه الشكوك في كنيستهِ الطاهرة ليمحص بذلك اولياءهُ القديسين

هذا ولم يألُ بولس جهدًا في ان ينال رضى زينب. وقد ارتأى بعض المؤرّخين اعتمادًا على قول ثيودوريتوس ان الغيرة حملت اسقف انطاكية على اتيان ما أتى ابتغاء ان يكسب الملكة الى الدين المسيحي. لكنَّ هذا الزعم واهنٌ لا صحَّة لهُ لانَّ قلبًا فاسدًا ملطَّخًا بالرذائل والادناس لا يستطيع ان يضطرم بالايمان والغيرة على مجد الله. والأولى القول انَّ هذا المبتدع

---

١) كان بعض الاكليريكيين في قرون الكنيسة الاولى استحلُّوا السكنى مع البنات العذارى (agapètes) يزعمون انَّهم يعيشون معهنَّ عيشةً صالحةً طاهرة ويستندون بذلك الى عادة الرُّسل الاوَّلين الذين كانت تقوم بخدمتهم بعض الاخوات (راجع رسالة القديس بولس الاولى الى اهل قورنتية ٩: ٥). فردَّ القديس كبريانوس على مزاعم هؤلاء وبيَّن الاخطار الناجمة منها. وكذلك سفَّه القديس ايرونيموس هذا الرأي في رسالتهِ ١٨ الى استوخيوم ٢) شَنْباني ص ١٣٧

لم يتنبّ سوى الحظوة عند زينب لكي يظلّ في كرسيهِ ثابتا ويتمكّن من شهواتهِ الذميمة لا يقمع كبرهُ قامع ولا يردع اهواءهُ رادع

وعليهِ لم تكن سيرتهُ الّا تملّقا ومخادعةً ومخاتلةً للملكة التي لم تكُ بعدُ عرفت ديانةَ المسيح حقّ معرفتها فكان يبيح لها في امر الدين والآداب ما تستبيح ويخفّف عن هاتها ما تستثقلهُ بل كان يُعجَب بزينب اي إعجاب ويتلو تلوها ما استطاع ويُظهر ما تُظهر من العظمة والتجبر والسلطة والدهاء. وفي صورة الحرم الذي رشقتهُ بهِ الآباء يقال «انهُ كان على شاكلتها ما غلبتهُ الّا بمؤنّثها» وما فتئ يتملّق سيدتهُ ويخاتلها حتى قلّدتهُ وظيفة الدُوكار (ducenarius)(١ التي كانت آثر عندهُ من الاسقفية(٢

فهذا المثل الرديُّ الصادر عن اسقف ناقد الكلمة في سوريةَ جماء هاج لهُ الشرق وماج. وكان من قبل في سنة ٢٦٤ قد التأم في انطاكية مجمعٌ لتزييف تعليم بولس المذكور(٣ فحُرم لاول مرةً. وملخص هذا التعليم « انّ المسيح رجل صرفٌ لم يكن لهُ من وجود قبل ظهورهِ في عالمنا. وانهُ من المحال ان يتجسّد الكلمة الذي لا يساوي الله في الجوهر. اما الاقانيم الثلثة فليست هي الّا صفات في الحق سبحانهُ وتعالى. وقد زيّن اللهُ عزّ وجل المسيح بنعمٍ فريدة خصّهُ بها دون غيرهِ فكان الحَبَل بهِ فائق الطبيعة من القدس في احشاء عذراء وفي تلك الساعة حلّ فيهِ كلمة الله. فلا حَرج اذن و… المسيح الهًا او الهًا نظرًا لفضائلهِ السامية التي تقرّبهُ من الله تعالى »(٤. فلم تلبث

١) الدوكار (ducenarius او ducentarius) كان في بدء ضابطًا يجبي الخراج ويحكم في الدعاوي الطفيفة وقد دعي بهذا الاسم إمّا لانّ راتبهُ كان ٢٠٠,٠٠٠ سسترس (اي اكثر من ٣٥,٠٠٠ فرنك) او لانهُ كان يجبي لبيت المال اثنين عن كل مائتين ولكن في الجيل الرابع والخامس ترأس الدوكار على مجلس شورى القوّاد العسكريين او على ادارة الشؤون اعني مجلس الولاة ويبين انهُ نال ذلك منذ اواخر الجيل الثالث (راجع Notit. Dignit. p. 823). وبناء عليهِ فكان لبولس في ادارة شؤون سورية منصب من المناصب الاولى بعد رتبة القنصل

٢) تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠

٣) وممن حضر هذا المجمع فرميليانوس القيصري والقديس غريغوريوس العجائبي واخوهُ اثنودوروس وهيلانوس الطرسوسي وهيماناوس الاورشليمي والشماس اوسابيوس الذي سيم بعد مدةٍ مطرانًا على اللاذقية

٤) راجع كتاب الهرطقات للقديس ابيفانيوس ٧٥ : ١–٣ ورسالة المجمع في تاريخ اوسابيوس ٧ : ٣٠ وكتاب الهرطقات للقديس اوغسطينوس ٥٤ الخ

هذه الاراجيف ان انتشرت وسرى شرّها في العقول فاجتمع حينئذٍ الاساقفة من بلاد بُنطس وقبادوقية وفلسطين فوجدوا بعد الفحص انَّ تعاليم المبتدع لا تختلف عن تعاليم ارتاماس او ارتامون (١ الذي كان قد حُكم عليهِ قبلاً. فحرموها باتفاق الكلمة

فلمَّا كُشف القناع عن سيّئ آراء بولس سُقط في يدهِ وتظاهر بالتواضع والقبول للرأي السديد والايمان الصحيح ووعدَ ان يغيّر خطتهُ ويؤمن ايمانًا مستقيمًا ولكن عقيب خمس سنوات رجع الى ضلالهِ وشرّ اعمالهِ او بالاحرى ما زال طول المدَّة ينهج منهاجهُ الاوّل ناكثًا مواعيدهُ دون ان يصلح سيرتهُ او يصحّح تعليمهُ. فهرع الى انطاكية ثمانون اسقفًا سنة ٢٦٦ لمقاومة هـذا «اللصّ الذي اتلف خراف المسيح إتلافًا» فانتصب في وسط الجماعة الكاهن ملخيون القديس وفنَّد حجج المبتدع الواهنة واخفهُ امام المجمع بتعداد ما عُزي اليهِ من الاضاليل والآثام فعُزل بولس عن كرسيهِ واقيم مقامهُ دمنوس وكان ابن ديمتريانوس اسقف انطاكية سابقًا. ورغبةً في اشهار هذا الحكم وانفاذهِ بعث المجمع رسالة الى ديونيسيوس اسقف رومة ومكسيموس اسقف اسكندريةَ والى عامّة الاساقفة والكهنة والشمامسة والكنيسة الكاثوليكية المنبثَّة في كل الاقطار (٢

امَّا زينب فما انكرت على الاساقفة صنعهم ولا سلبتهم حريّتهم بل تركتهم وشأنهم يحكمون على حميها وجابيها (٣ واكتفت بان لا تنفذ حكمهم بالقوَّة الجبريَّة. غير ان بولس ابى ان يجحد كفرهُ ويتخلّى عن الاوقاف الكنسية اتكالاً منهُ على حزبهِ العظيم في انطاكية وحسن التفات زينب اليهِ فيما سلف. فلم يبرح هو وانصارهُ في دار الاسقفية متمتعاً بالاوقاف والاموال الى يوم تغلَّب اورليانوس على زينب وقهرها في انطاكية سنة ٢٧٢. فمثل اوانئذٍ دمنوس امام القيصر وطلب اليهِ كمالكٍ شرعيّ ان تُردَّ لهُ المساكن التي كان احتبسها جورًا وظلمًا ذلك الهرطوقيّ المحروم فاجابهُ اورليانوس الى سؤلهِ قائلًا: «انَّ الوقف

---

١) راجع اوسابيوس الفصل المذكور. كان ارتامون هذا علَّم في رومة تعاليم كاذبة ينفي فيها الوهيَّة السيد المسيح. وكان اوانئذٍ حبر الاحبار القديس زفرينوس

٢) راجع اوسابيوس ٧: ٢٨–٣٠ والقديس ايرونيموس الرسالة ٨٤ وفي الرجال العظام ٧١ والقديس اثناسيوس في المجامع – (منسي المجامع المقدّسة المجمع الجديد I) على تاريخ سنة ٢٦٩ Tillemont : *Mémoires*. IV. art. 4 و Bolland : Oct. t. XII, p. 507-509

٣) اوسابيوس الموضع المذكور

الواقع عليهِ الخلاف انّما هو مُلكُ المشتركين مع اساقفة ايطالية واسقف رومة (١

على هذا المنوال سقط بولس رغمًا عن الآمال التي وطّدها على زينب غير انّهُ كان قد زرع في المشرق جراثيم الشيعة الآريوسية والنسطورية اللّتين مال اليها وعلّمها وقد ترك اشياعًا متعصّبين لتعاليمهِ فدُعوا بولسيين سُمَيساطيين (٢

بعد سرد هذه الاخبار نرى انهُ لامرٌ جدير بالانذهال كيف تركت زينب جليسها بولس واحبُّ الناس اليها يُحرَم ويُحكم عليهِ بالعزل والعقاب دون ان تحاول اضطهاد المسيحيين او معارضتهم في دينهم. وقد اثنى القديس اثناسيوس ثناء جميلًا عليها لسبب غير هذا وهو عدم تعصُّبها لديانتها الاسرائيلية (على زعمهِ) قال: «ان زينب وان يهوديةً لم تهب ابناء ملّتها الكنائس لتكون لهم مجامع او محافل» (٣

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولنرجع الى ما كنّا فيهِ. واستمرّت اقطاعات السلف على ما ذكرناهُ ثم انقسموا ثلاثة ابدال وقد رأيتُ بخطّ ناصر الدين المذكور قائمةً (٤ مضمونها الذي تقرّر بين المماليك اولاد امير الغرب من الابدال بالثغر المحروس: (البَدَل الاوّل) الفقير الى الله تعالى الحسين بن خضر واخوهُ عزّ الدين حسن وشمس الدين عبدالله ابن عمهِ واصحابهما ما خلا خمسة انفار

---

١) اوسابيوس ٧ : ١٩،٣٠ . قال شباني «ان هذا الرجل الوثني اوصلهُ تمييز عقلهِ الى حلّ مسائل شتّى في الامانة المستقيمة (المحلّ المذكور وجه ١٤٠) – فانظر كيف اورليانوس يذكر اسقف رومة على حدةٍ وامّا اساقفة ايطالية فيذكرهم سويّةً دون تخصيص احدٍ»

٢) راجع اوسابيوس المحل المذكور. وعنائيل كليكاس اخبار القسم الثالث – وقد اجمع المؤرخون على ان بولس هو اول من حرّف القوانين الرسولية – طالع مقالات دي عيستري الفصل الثاني (بين)

٣) راجع رسالة القديس اثناسيوس

٤) راجع هذه القائمة في اخبار الاعيان (ص ٢٣٦)

تُضاف الى الامير ناصر الدين ابن سعدان وهم صارم الدين شمول وابن عمّهِ نجم الدين كوكب سنان وشرف الدين غازي ابو الرجال وشرف الدين ابو العلاء بن شتير وبدر الدين حسن بن سامي. (والبدل الثاني) الامير سيف الدين مفرج والامير عز الدين حسين ابن شرف الدين والامير علم الدين سليمان واصحابهما. (والبدل الثالث) الامير ناصر الدين ابن سعدان وولداهُ الامير سيف الدين ابرهيم بن نجم الدين واصحابهُ والامير عماد الدين موسى بن مسعود واصحابهُ والخمسة المضافون اليهم من جماعة المماليك

ثمَّ من مضمون القائمة المذكورة اسماء جماعة المماليك « العشرة الأُولى »: شرف الدين ابن قاسم برق . حصن الدين زعازع بن احمد . نجم الدين أَيوب . صارم الدين شمول بن نجا من بني ابي الجيش . شهاب الدين داورد بن عبد الله . شمس الدين عبد الجيد بن جار . بدر الدين بدر بن عبد الكريم . ناصر الدين غسَّان بن جلال . جمال الدين رشيد بن معبد . شرف الدين بن يعقوب بن عبد الحقّ العديسي . امَّا « المستجدُّون » فهم: حسام الدين ابو الهيجاء بن عيسى العديسيّ . شرف الدين مشرف بن جبيل . شهاب الدين احمد بن شمس . شمس الدين محمَّد بن مهنا . شجاع الدين ارسلان بن مسعود . شرف الدين عيسى بن يوسف . بدر الدين حسن بن سامي . شرف الدين عيسى بن غازي الزبودي . نجم الدين كوكب (45[r]) بن سنان . ناهض الدين عبد المنعم ابو النجم . عزّ الدين حسن بن رقاعة . عزّ الدين بن فضائل بن ابي العلاء البشري

قولهُ « العشرة الاولى » يريد عدَّتهُ الاولى قبل الرُوك وهم مستمرُّون في خدمتهِ . وقولهُ « المستجدُّون » اي الذين استجدَّهم عندهُ في الخدمة بعد الروك فصار المستمرُّون من الاولين عُتقًا والذين بعدهم مستجدّين . امَّا شرف الدين يعقوب بن عبد الحقّ المذكور فهو الذي كتب لناصر الدين مخدومهِ مرآة الزمان والذَّيل عليها . وكتب لهُ ايضًا غيرها عدَّة كتب فكان ما كتبهُ لهُ نيِّفًا وثلاثين مجلَّدًا كبيرًا ضخم الحجم وقد رأيتها كلّها

(قلتُ) واذا نظر الناظر الى هذه الأبدال الثلاثة يجد قسمتها على احسن ترتيب وأكمل سياسة لانَّ (القسمة الاولى) للامراء في اعيَنهِ فزادوا عن الثلاثة خمسة اجناد . وكان يجب ان يُفرَد لها احد الاميرين امَّا عزّ الدين الحسن بن خضر وامَّا شمس الدين عبد الله بن حجي فلم يخرجها ناصر الدين عنهُ وابقاها معهُ لكون عزّ الدين اخاهُ وصداقهُ

ابن عمهِ . وجعل عوضاً عن الذي ينفرد منها خمسة من جندهِ مناسبين لبني ابي الجيش . واماً (القسمة الثانية) فللامراء بعرامون تكساتهم علَمُ الدين الزوطرني بالمطابقة لهم . واماً (القسمة الثالثة) فلناصر الدين بن سعدان وولدهِ ومعهم سيف الدين ابرهيم بن محمد العيذابي وكمَّلهم ناصر الدين الحسين بخمسة من جندهِ وهي المذكورة . ولينظر الناظر (45) الى هذه القسمة الثالثة كيف جُعلت . فاماً ناصر الدين بن سعدان فكان من طبعهِ البغض والحسد لناصر الدين الحسين واقاربهِ الامراء بعرامون . واماً سيف الدين ابرهيم فكان ولدهُ نجم الدين محمد ابن جمال الدين حجي وقد عقّ اباهُ وعاداهُ اقاربهُ وصار مبغضاً لديهم . واماً اجناد ناصر الدين الحسين الخمسة فهذه اسمارهم : شمول بن لجا وهو ابن عم ناصر الدين ابن سعدان . ونجا هو تقيّ الدين نجا المقدَّم ذكرهُ الذي فعل مع السلف تلك الفعائل . ومنهم موسى بن مسعود فكان من بني ابي الجيش ايضاً

وحكي انهُ قيل لناصر الدين الحسين ان ناصر الدين ابن سعدان مرض مرضاً لا ينجو منهُ فقال : في منامهُ سألبس الاحمر . يُشير بذلك الى ما ذكرناهُ عن ابن سعدان لمّا دسّ السمّ لبدر الدين يوسف ابن زين الدين وكان لمّا بلغهُ خبر موتهِ لبس الاحمر يظهر الاشتفاء بهِ . وكان مع ذلك ابن سعدان المذكور اقلّ بغضاً لامراء الغرب من بقيّة اقاربهِ . وكان لابن سعدان هذا ولدٌ اسمهُ شهاب الدين داوود فمشى على قاعدة تقيّ الدين نجا عمّ ابيهِ ناصر الدين ولم ينجح لهُ قصد(١

وقد وقفتُ على اشهادٍ من مضمونهِ انّ داوود المذكور رجع عن قولهِ وتاب وسلك الطرائق الحميدة والمناهج السديدة وانهُ اقرّ انّ كلّ ما تكلَّم بهِ عند النوّاب والامراء في حقّ ناصر الدين الحسين زورٌ وبهتان في طريق الحسد والبغض لاصحّة لهُ

ووقفتُ ايضاً على كتاب من تنكز نائب الشام جواباً لناصر الدين الحسين يقوّي بهِ يد ناصر الدين (46) على داوود المذكور وانهُ لم يسمع لكلامهِ بل تحقّق كذبهُ

١) قد جاء في حاشية المؤلف ما نصهُ : « وقد وجدت كتاباً لناصر الدين الحسين المذكور جاء في مضمونهُ انّ شهاب الدين داوود ابن ناصر الدين كان رديّ السيرة يمشي على طريقةٍ مذمومة وانهُ واخاهُ سعدان يقصدان ضرر ناصر الدين الحسين واخوتهِ ويقدحان في اعراضهم . وتاريخ هذه الكتابة العُشر الآخر من شهر صفر سنة عشرين وسبعمائة (١٣٢٠ م) »

وعرف شكر الناس لناصر الدين. وكتاب تنكز المذكور والاشهاد السابق كلاهما بتاريخ سنة احدى وعشرين وسبعمائة (١٣٢١م)

وبيت بني ابي الجيش كانوا مشهورين بالبغض والحسد لهذا البيت ولاقاربهم الامراء بعرامون ويتسلَّطون عليهم بالكذب والزُّور من غير إساءةٍ سبقت منهم اليهم (١. وقد حُكي انَّ بعض الامراء بعرامون مات مسموماً بيد احد ابناء ابي الجيش (٢ وقد هلك في آخر الامر بنو ابي الجيش وخربت مساكنهم في أيَّام هذا البيت. وانَّ العاقبة للمتَّقين

ذكر بعض حوادث جرت في ايَّام ناصر الدين

كان عمر ناصر الدين لمَّا قُتِل القطب نحو عشر سنين. ولمَّا فُتحت بيروت على يد الملك الاشرف كان عمرهُ قرب اثنتين وعشرين سنة. وفي أيَّامهِ كان نزول الفرنج على الدامور ليلة الاربعاء من جُمادى الأُولى سنة اثنتين وسبعمائة. وكان في الدامور شمس الدين عبدالله واخوهُ فخر الدين عبد الحميد واسروا اخاهُ شمس الدين عبد الله. وقُتل في تلك الليلة مجاهد ابن ابي الحسن بن يوسف وابن عمّهِ معتب بن ابي المعالي ونفر من اهل ادميث. وبقي شمس الدين عبدالله معهم في الشواني خمسة أيَّام (٤٦٢) الى ان باعوهُ بالقرب من قرية خلدا بثلثة آلاف دينار صوريَّة لانهم عرفوهُ وندموا على قتل اخيهِ. ودفع ناصر الدين جانباً كبيرًا من مالهِ ليفديهُ (ستأتي البقية)

---

١) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «سمعتُ من غير واحد انَّ بعض الامراء الذين سكنوا بعرامون الحارة المجاورة للعين كان يصبح بعض الاحيان فيجد في الطيقان نشَّابًا مضروبًا. وكذا كان يجري في بيت جمال الدين حجّي المعروف الآن بيت شجاع الدين فكان يُرى النشَّاب مضروباً في الطاق قد رُمي بهِ من جهة الوادي وكان ذلك من بني ابي الجيش. وبغضهم لهذا البيت مشهور»

٢) حاشية للمؤلف: «المعروف انَّ الذي توفي بالسمّ هو بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن عليّ بن بحتر المذكور في الطبقة الاولى. وقيل انَّ الذي دسَّ لهُ السمّ هو ناصر الدين ابو الفتح بن سعدان بن ابي الجيش. وقد تقدَّم ذكر ذلك في حاشيتهِ عند ترجمة بدر الدين المذكور في الطبقة الاولى»

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

قال هذا ودخلا في الجنينة المذكورة. وكان فاضل كلَّما شاهد قفصاً يقف متحيّرًا متدلّهًا ويصيبهُ من الذهول ما لا يفي بهِ الوصف. وبعد أن زارا جنينة الحيوانات ذهبا الى الپرادو (Prado) ومنهُ الى جنينة بورلّي الواقعة على شاطئ البحر. وكانت ساعة الظهر قد دقّت قبل ان يعود فاضل الى مقرّه فالتفت رفيقه وقال: «ما اظنّ أنك ذقتَ في عمرك اكلة بولياباس وحيث قد برّح بي الجوع فلا استطيع ان اعود بك الى رصيف جوليات وانا طاوي الحشا على الطوى ولا شكّ انّ بك مثل ما بي. فتعالَ ندخل هذا المطعم لنتغدّى فيهِ وايّ حرَج على المرء ان يتغدّى مرّةً مع صديقهِ ولو ادّى ذلك الى بعض الإسراف»

وكان فاضل قد جاع فانقاد الى صاحبه كما انقاد لهُ من قبل ولم يكن عالمًا حقيقة الامر ولو انهُ درى انّ تناوُل الطعام في الفنادق يفضي الى بذل الدرهم لتوقّف عن مجاراة ذاك الصديق المجهول ولكنهُ كان يتصوّر انهُ يدعوهُ للغداء على حسابهِ. وعلى هذا الفكر دخل بمعيّته الى قاعات فسيحة حسنة الرياش مرتفعة النوافذ مطلّة على البحر قد تزيّنت جدرانها بالمرائي العديدة وموائدها بالصحف والاواني الفضّية وسقوفها بالثريّات المتلألئة. فتذكر فاضل حينئذٍ قهاوي الاسكندرية وما جرى لهُ فيها ممّا تقدّم ذكرهُ فاقترب الى صاحبه كأنّهُ يريد الاختفاء وراءهُ من انظار القوم. ثم انّ الاثنين جلسا الى مائدة صغيرة بجانب احد تلك الشبابيك

وفي الحال جاء احد خدَمة المطعم ليعلم ايّ لون من الوان الطعام يشتهيان. فقال رفيق فاضل: «تأتينا اوّلًا بشراب يهيّج شهوة الاكل. وبعد هذا تحضر لنا صحفةً من بولياباس وتضيف اليها بعض القناني من نبيذ بوردو لاني عزمت أن أُحسن معاملة ضيفي اليوم. فغاب الخادم هنيهة واحضر لهما قدحين من شراب «پيكون» فتناول الرجل المجهول قدحًا وقال لفاضل: انك تجهل هذا الشراب الذي يُستخرج من قشور البرتقال فهو جيّد جدًّا والاقبال عليهِ عظيم عندنا وفي السنة الماضية تمكّن احد المشتغلين بصنعهِ من تزويج ابنة لهُ واعطاها مليون فرنك نقدًا